مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٤٦)

شَرْحُ
‹أُصُولِ السُّنَّـةِ›
لأبي بكر الحميدي

تأليف
عَبْدالعزيز بنِ عبْدالله الرَّاجحي

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

شَرْحُ
«أُصُولِ السُّنَّةِ»

لأبي بكر الحميدي

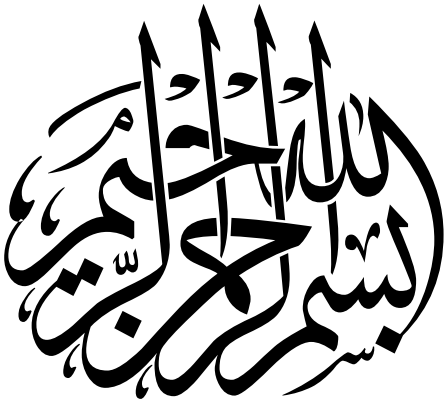
بسم الله الرحمن الرحيم

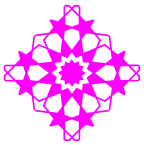

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسَلَّمَ علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن تعلُّم العلم وتعليمه من أفضل القُرُبات وأجلِّ الطاعات، وهو أفضل من نوافل العبادة كما قرَّر ذلك **أهل العلم**.

والمراد بالعلم التي وردت النصوص في فضله وشرفه العلم بالله وأسمائه وصفاته، وبدينه، وبالحلال والحرام.

وقد رفع الله تعالىٰ قدر العلماء وشأنهم فقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقرن ﷻ شهادة العلماء بشهادته وشهادة ملائكته علىٰ أجلِّ مَشْهُودٍ به وهو وحدانية ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وبَيَّنَ ﷻ أنه لا استواء بين أهل العلم وغيرهم فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩].

وأهل العلم بالله هم أهل خشيته الكاملة كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨]، ومعلوم أن كلَّ مؤمن عنده أصل الخشية بتقوىٰ الله ﷻ؛ لأن من لم يخشَ الله فليس بمؤمن، فالمؤمن وإن كان عاصيًا لكن عنده أصل الخشية، ولكن الخشية الكاملة إنما هي لأهل العلم كما في هذه الآية الكريمة.

وفي مُقدِّمة العلماء أنبياء الله ورسله عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ فقد اصطفاهم الله تعالىٰ واجتباهم علىٰ غيرهم برسالته، فهم أخشىٰ الناس وأتقاهم له ﷻ، وأعلمهم به ﷻ.

وأتقاهم أولي العزم الخمسة: نوح، وإبراهيم، وعيسىٰ، وموسىٰ، ومحمد ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ، فلهم النصيب الأوفر من الخشية والتقوىٰ أكثر من غيرهم.

وأخشىٰ أولي العزم الخمسة الخليلان: إبراهيم، ومحمد ـ عليهما الصَّلاة والسَّلام ـ، وأخشاهما وأتقاهما وأعلمهما بالله نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ثم يليه جَدُّهُ إبراهيم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ثم موسىٰ الكليم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ثم بقية أولي العزم الخمسة، ثم بقية الرُّسُل، ثم الأنبياء، ثم الصِّدِّيقون.

والصِّدِّيق علىٰ وزن فعيل، صيغة مبالغة، وهو الذي قَوِيَ تصديقه وإيمانه بالله ﷻ حتىٰ أحرق إيمانه وتصديقه الشَّهواتِ والشُّبهاتِ فلا يعسرُّ الصِّدِّيق علىٰ معصية، وفي مُقَدِّمتهم الصِّدِّيق الأكبر **أبو بكر** رضي الله عنه.

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الصَّادِقين فقال سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ ثم بَيَّنَ جزائهم وغيرهم ممن أثنىٰ الله عليهم فقال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب «ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة»، رقم (٣٢٥٦)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٣١).

قَالَ : «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**»، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟»، قَالَ: «**بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**».

ويليهم الشُّهداء، جمع شهيد، والشهيد هو قتيل المعركة الذي قُتِلَ في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فبذل الشهيد أغلىٰ ما يملك الإنسان ـ وهي نفسه التي بين جنبيه ـ لله ﷻ وقدَّم مرضاة الله ومحبته علىٰ نفسه، ثم يليهم الصَّالحون.

والناس أربع أصناف : ثلاث من المؤمنين، وصنف من الكُفَّار.

الصنف الأول: **السَّابِقُون المُقرَّبون**، وهم الذين وحَّدوا الله وأخلصوا له العبادة وأدُّوا الواجبات والفرائض وتركوا المحرَّمات والكبائر، وكان عندهم نشاط فزادوا في فعل النوافل والمستحبات وتركوا المكروهات وفضول المباحات.

الصنف الثاني: **المقْتَصِدُون**، وهم أصحاب اليمين الذين أدُّوا الواجبات والفرائض وتركوا المحرَّمات والكبائر، ووقفوا عند هذا الحدِّ فلم يكن عندهم نشاط في فعل النوافل والمستحبات وترك المكروهات وفضول المباحات.

وهذان الصنفان يدخلان الجنة من أول وهلة؛ فضلًا من الله تعالىٰ وإحسانًا.

الصنف الثالث: **الظالمون لأنفسهم**، وهم مؤمنون موحِّدون، أخلصوا لله العبادة ولم يكن في عملهم شرك، وأدُّوا الواجبات لكن قصَّروا في بعضها، وتركوا المحرَّمات لكن قد يفعلون بعضها، فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم، وهم علىٰ خطر من دخول النار.

وقد يُعذَّب أحدهم في قبره بسبب المعاصي والجرائم التي مات عليها كما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟»، قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**».

وقد يصيب أحدهم أهوال وشدائد في موقف القيامة، وقد يُعذَّب بالنار وقد يُعفىٰ عنه فهو تحت مشيئة الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨].

وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر وهم مؤمنون مُصدِّقون مُوحِّدون، دخلوها بكبائرهم وماتوا علىٰ غير توبة منها، كأن يكون أحدهم مُوحِّدًا وأصرَّ علىٰ الزنا، أو التعامل بالرِّبا، أو أكل الرِّشوة، أو الغيبة، أو النميمة، أو عقوق الوالدين، أو قطع صلة الرَّحم ولم يتبْ منه فيُعذَّب ما شاء الله ثم يُخْرَج منها بشفاعة الشَّافعين أو برحمة أرحم الراحمين، ومنهم مَنْ يُشْفَع له فلا يُعذَّب.

وقد ثبتت الأخبار أن النبي ﷺ يشفع أربع مرات، في كلِّ مرةٍ يحد الله له حدًّا ليخرجهم من النار، في «الصحيحين»[(٢)] عَنْ مَعْبَدِ بْنِ هِلَالٍ الْعَنَزِيِّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَىٰ فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: «لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ»،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب «من الكبائر أن لا يستتر من بوله»، رقم (٢١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم»، رقم (٧٥١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٣).

فَقَالَ: «يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ»، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: «اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ»، فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ»، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَىٰ؛ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ»، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَىٰ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ»، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ»، فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: «أَنَا لَهَا»، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»، فَيَقُولُ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»، فَيَقُولُ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ» فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»، فَيَقُولُ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ» فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»**، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: «لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ»، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ»، فَقَالَ: «هِيهْ»، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: «هِيهْ»، فَقُلْنَا: «لَمْ

يَزِدْ لَنَا عَلَىٰ هَذَا»، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَحَدِّثْنَا» فَضَحِكَ، وَقَالَ: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا»؛ مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ»، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: «**ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»»، فَيَقُولُ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**».

ويشفع الأنبياء، ويشفع الشُّهداء، ويشفع الصَّالحون، ويشفع أهل القرآن، وتشفع الملائكة، وتبقىٰ بقية لا تنالهم الشفاعة، «**فَيَقُولُ اللَّهُ** ﷻ: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»، **فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ «نَهَرُ الْحَيَاةِ» فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»[(١)(٢)].

والأصناف الثلاثة ـ السَّابِقُون المُقرَّبون والمقْتَصِدُون أصحاب اليمين والظالمون لأنفسهم ـ كلُّهم مؤمنون موحِّدون، اصطفاهم الله تعالىٰ وأورثوهم الكتاب، وكلُّهم من أهل الجنة، يدخل **السَّابِقُون المُقَرَّبُون والمقْتَصِدُون** الجنةَ من أول وهلة، **والظالمون لأنفسهم** علىٰ خطر.

قال الله تعالىٰ في وصف هؤلاء الثلاث: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ

(١) وهو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]»، رقم (٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٣) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فَاطِر: ٣٢-٣٥].

الصنف الرابع: **الكفار**، ذكرهم الله ﷻ بعد ذكره للأصناف الثلاثة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فَاطِر: ٣٦].

أهل الجنة ثلاثة أصناف السَّابقون والمقْتَصِدُون والظالمون لأنفسهم، وأهل النار هم الكفرة وإن تفاوتوا.

والكفرة أنواع: **اليهود** كفرة، **والنصارىٰ** كفرة، **والمجوس** كفرة، **وعبَّاد النار والمنافقون** كفرة، **والملاحدة** كفرة، وكلُّهم في النار في دركاتها ـ نعوذ بالله ـ، بل **المنافقون** في الدَّرك الأسفل منها؛ لأن النار ـ نعوذ بالله ـ دركات، كلُّ دركة سفلىٰ أشد عذابًا من الدركة التي أعلىٰ منها، أمَّا الجنة ـ نسأل الله تعالىٰ أن نكون منها ـ درجات، الدرجة العُليا أعلىٰ نعيمًا من الدرجة التي تحتها.

والمنافقون أشدُّ عذابًا من **اليهود والنصارىٰ**؛ لأنهم وافقوهم في الكفر وزادوا عليهم الخداع والتلبيس، فهم يعيشون بين المسلمين ويُلبِّسون عليهم، ويُدبِّرُون الحيل والمكائد للإسلام وأهله فهم أشدُّ علىٰ المسلمين، ولهذا صار عذابهم أشدُّ ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

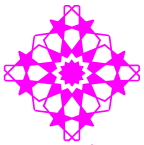

التعريف برسالة «أصول السُّنَّة» للْحُمَيْدِيِّ

«أصول» جمع أصل، وهو الذي يُبنىٰ عليه غيره، «أصل الجدار» أساسه التي يُبنىٰ عليه.

و«**السُّنَّة**» تشمل ما جاء به الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام من أقوال وأفعال واعتقادات وتقريرات، ونجد عند **الفقهاء** الواجب والسنة، **ويقولون : الواجب** هو ما يجب فعله، **والسنة** هي ما يستحب فعله ولا يجب، ولفظ «السُّنَّة» أوسع.

وهذه الكلمات التي جمعها **الإمام الحميدي** رَحِمَهُ اللَّهُ كلها تتعلَّق بما يعتقده المسلم ويدين به لرَبِّهِ في القضاء والقدر، والإيمان، والصحابة، والقرآن، ورؤية الله يوم القيامة، وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذه الأمور التي ذكرها **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ واستدل لها هي أصول تنبني عليها الأعمال؛ **فعقائد الإيمان بالقدر** يبني المرء عليها التسليم لله عَزَّوَجَلَّ في قضائه وقدره، ويبني عليها الاجتهاد في العمل الصالح، وكذلك كونه يعتقد أن **الإيمان قول وعمل** يكون حثًّا له علىٰ العمل، وكذلك العقيدة في **الصحابة الكرام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ينبني عليه التَّرحم عليهم والترضي عنهم والأخذ منهم، وكذلك **الإيمان بأسماء الله وصفاته** ينبني عليه تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، والإيمان بأسمائه وصفاته، والعمل الصالح، ودعاء الله، والتعبد له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يقتضيه أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا سُمِّيت «أصول السُّنَّة»[(١)].

(١) تم إثبات نسخة المتن من الطبعة التي خرجت بتحقيق **مشعل محمد الحدادي**، الناشر «دار ابن الأثير» الكويت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨ هـ.

وعلىٰ **طُلَّاب العلم** أن يستشعروا أنهم في عبادة؛ لأن تعلُّمَ العلم من أفضل القُرُبات، وأن يستشعروا المتابعة للنبي ﷺ.

وأن يُراعوا الإخلاص لله ﷻ؛ لأن العبادة لا تصح ولا تكون نافعة إلَّا إذا توفر فيها شرطان:

الأول: أن تكون خالصةً لوجه الله تعالىٰ.

الثاني: أن تكون موافقةً لهدي الرسول ﷺ.

وأن يسألوا ربَّهُم أن يرزقهم العلم النافع؛ لأنه رزق يرزقه الله من يشاء من عباده، وقد أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ أن يسأله الزيادة من العلم فقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

وعلىٰ **طالب العلم** كذلك أن يُحْضِرَ ذهنه، ويكون عنده انتباه ويُسجِّل الفوائد، ويقرأ الدرس من الكتاب قبل أن يأتي ويقرأه بعد ذلك، ويتعاون هو وإخوانه.

وعليه أن يسأل عما أشكل عليه سؤال استرشاد لا سؤال تعنت، فإذا كان المقصود من السؤال الاسترشاد فهذا مطلوب، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، أما إذا كان المقصود التعنت أو إيذاء المسؤول أو إيقاعه في الحرج أو أن يُظهِرَ نفسه بالرِّياء فهذا ممنوع، ولم يشرع الله تعالىٰ السؤال عن فرضيات لم تقع؛ لما يترتب علىٰ ذلك من حرج أو مشقَّة، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

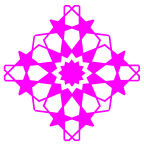

ترجمة الإمام الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

هو عبد الله بن الزبير بن عيسىٰ بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله ابن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزىٰ.

وقيل: جده هو عيسىٰ بن عبد الله بن الزبير بن عبيد الله بن حميد، والحميدي هو: الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي، الأسدي، الحميدي، المكي، صاحب «المسند».

حدَّث عن: إبراهيم بن سعد، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة فأكثر عنه وجوَّد، والوليد بن مسلم، ومروان بن معاوية، ووكيع، والشافعي، وليس هو بالمُكْثِرِ ولكن له جلالة في الإسلام.

حدَّث عنه: البخاري، والذهلي، وسلمة بن شبيب، ويعقوب الفسوي، وأبو زرعة الرازي، وبشر بن موسىٰ، وأبو حاتم، ويعقوب بن شيبة، وأبو بكر محمد بن إدريس المكي ورَّاقه، وخلق سواهم.

قال أحمد بن حنبل: «**الحميدي** عندنا إمام».

وقال أبو حاتم: «أثبت الناس في ابن عيينة **الحميدي**، وهو رئيس أصحاب ابن عيينة، وهو ثقة إمام».

وقال يعقوب الفسوي: «حدَّثنا **الحميدي** وما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه».

وقال محمد بن إسحاق المروزي: سمعت **إسحاق بن راهويه يقول**: «الأئمة في زماننا الشافعي، **والحميدي**، وأبو عبيد».

وقال علي بن خلف: سمعت **الحميدي يقول**: «ما دمت بالحجاز، وأحمد بن حنبل بالعراق، وإسحاق بخراسان لا يغلبنا أحد».

وقال أبو العباس السراج: سمعت **محمد بن إسماعيل يقول**: «**الحميدي** إمام في الحديث».

قال محمد بن سعد: «**عبد الله بن الزبير الأسدي الحميدي** من بني أسد بن عبد العزىٰ بن قصي، صاحب ابن عيينة وراويته، مات بمكة سنة تسع عشرة ومئتين، وكان ثقة كثير الحديث».

وكذلك قال **البخاري** في تاريخ وفاته، **وقال غيرهما**: مات سنة عشرين ومئتين.

وروىٰ له مسلم في «مقدمة» كتابه، وابن ماجه في «التفسير»، والباقون[1].

(١) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٤/ ٥١٢ - ٥١٥)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٦١٦ - ٦٢١).

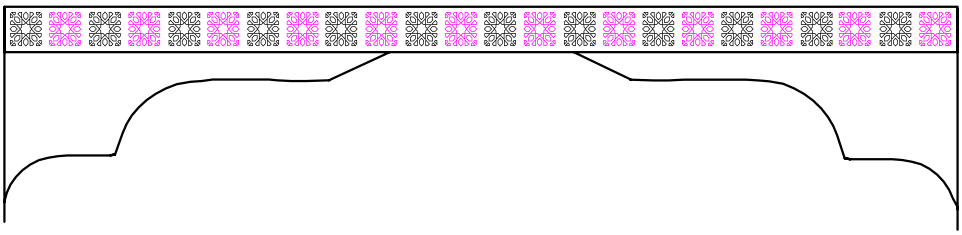

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

«حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَىٰ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ : «السُّنَّةُ عِنْدَنَا : أَنْ يُؤْمِنَ الرَّجُلُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ قَضَاءٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»».

الشَّرْح

○ قوله: «حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ» هذه الرِّسالة رواها **بِشْر بن موسىٰ**، وهو من تلاميذ **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو بشر بن موسىٰ بن صالح بن شيخ بن عميرة، الإمام، الحافظ، الثقة، المُعَمَّرُ، أبو علي الأسدي، البغدادي.

وُلِدَ سنة تسعين ومئة.

وهو من بيت حشمة وأصالة.

قال الخطيب: «كان ثقة أمينًا عاقلًا ركينًا».

وقال أبو بكر الخلال الفقيه: «كان **أحمد بن حنبل** يكرم **بشر بن موسىٰ**، وكتب له إلىٰ **الحميدي** إلىٰ مكة».

وقال الدارقطني: «ثقة».

قال إسماعيل الخطبي: «مات لأربع بقين من ربيع الأول، سنة ثمان وثمانين ومئتين»[(١)].

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٥٢- ٣٥٤).

○ قوله: «قَالَ: «السُّنَّةُ عِنْدَنَا» يعني: العقيدة السليمة التي نعتقدها «أَنْ يُؤْمِنَ الرَّجُلُ بِالْقَدَرِ».

والإيمان بالقدر واجب بالكتاب والسنة، وهو أصل من أصول الإيمان، وهو الرُّكن السَّادس من أركانه.

ودليله في الكتاب: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفُرقان: ٢].

وفي السنة المطهَّرة: حديث جبرائيل المشهور في «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وفيه: «قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ»، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»» فجعل الإيمان بالقدر الرُّكن السَّادس من أركان الإيمان.

والدين له مراتب ثلاث: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان؛ كما ثبت في حديث جبرائيل في «صحيح مسلم»[(٢)]، وفيه: «وَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: «فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ»، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ»، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ»، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، ...، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» فسَمَّىٰ ذلك

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨).
(٢) تقدَّم تخريجه.

دينًا، فدل علىٰ أن مراتب الدين ثلاث: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان.

○ قوله: «خَيْرِهِ» كالطاعات «وَشَرِّهِ» كالمعاصي، يؤمن العبد بأن هذا مُقدَّر، وهو شرٌّ بالنسبة للعبد ولكنَّ الله تعالىٰ قدَّره لحكم.

لا بُدَّ من الإيمان بأن الله تعالىٰ قدَّر الخير والشَّرَّ والكفر والطاعات والمعاصي لحكم بالغة.

○ قوله: «حُلْوِهِ» وهو ما يناسب الإنسان ويلائم طبعه كالولد والمال والصحة والعافية «وَمُرِّهِ» وهو ما لا يلائم طبعه كالفقر والمرض والمصائب وغيرها، وكلها من الله مُقدَّرة.

○ قوله: «وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ» عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: «وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي»، قَالَ: «**لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ**»، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ[(١)].

وهذا أيضًا من الإيمان بالقدر؛ فالإيمان بالقدر أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطِئَكَ، وما أخطأك لم يكن ليُصِيبكَ؛ لأن الله تعالىٰ قضىٰ ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، فكلُّ ما يُصِيب العبد فهو مكتوب

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في القدر»، رقم (٤٦٩٩)، وابن ماجه، في المقدمة، باب «في القدر»، رقم (٧٧)، وأحمد (٥/ ١٨٢).

في اللوح المحفوظ ولا يمكن أن يخطئه، وما أخطأه ـ وهو ما لم يُكتب في اللوح المحفوظ ـ لا يمكن أن يصيبه.

○ قوله: «وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ قَضَاءٌ مِنَ اللهِ ﷻ» فتؤمن أن الخير قضاءٌ من الله، والشَّرَّ قضاءٌ منه سبحانه، والحُلْوَ قضاءٌ من الله، والمرَّ قضاءٌ من الله، وأن ما أصابك قضاءٌ من الله، وأن ما أخطأك قضاءٌ من الله.

والإيمان بالقدر له مراتب أربعة، من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر:

الأولىٰ: العلم، فتؤمن بأن الله عَلِمَ الأشياء في الأزل قبل كونها ووجودها، والأزل هو الذي لا بداية لأوليته؛ وذلك لأن الله ﷻ هو **الأول** بذاته وأسمائه وصفاته، كما أنه هو **الآخر** سبحانه، وكذلك هو **الظاهر والباطن** كما قال تعالىٰ في كتابه العظيم: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

وفسَّرها النبي ﷺ كما في «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»، وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

أربعة أسماء لله تعالىٰ متقابلات، «**الأول**» و«**الآخر**» متقابلان، و«**الظاهر**» و«**الباطن**» متقابلان، اسمان لأوليته وأبديته، واسمان لفوقيته وعدم حجب شيء من المخلوقات له.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧١٣).

هو «**الظاهر**» الذي ليس فوقه شيء، فهو سبحانه فوق العرش، وهو «**الباطن**» الذي ليس دونه شيء، فلا يُحْجَبُ عنه أحد من خلقه، وهو «**الأول**» الذي لا بداية لأوليته، وهو «**الآخر**» الذي لا نهاية لآخريته.

نؤمن بأن الله تعالىٰ عَلِمَ الأشياء في الأزل علمًا لم يسبقه جهل، بل هو مستمر لا بداية لأوَّليته.

فلا بُدَّ من الإيمان بأن الله تعالىٰ قد عَلِمَ الأشياء الحاضرة والمستقبلة، وعَلِمَ سبحانه ما لم يكن لو كان كيف يكون.

وأخبر الله تعالىٰ في كتابه العظيم عن الكفار أنهم سألوا الرَّجعة إلىٰ الدار الدنيا، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨] فأخبر الله تعالىٰ أنهم لا يُردُّون، فلا يرجع أحد إلىٰ الدار الدنيا بعد موته؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «**يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**»، قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا»، قَالَ: «**أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: «بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، قَالَ: «**مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا**[(١)]»، **فَقَالَ: «يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ»، قَالَ: «يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً»، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: «إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ»، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩] الْآيَةَ»[(٢)]، فأخبر الله تعالىٰ أنهم لا يُردُّون، وهذا إخبار من الله بما لم يكن لو كان كيف يكون.

---

(١) أي: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ١٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة آل عمران»، رقم (٣٠١٠)، وابن ماجه، في المقدمة، باب «فيما أنكرت الجهمية»، رقم (١٩٠). =

وقال تعالىٰ عن الكفار: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]، فهو سبحانه لم يُسْمِعْهم الآن، ولو عَلِمَ فيهم خيرًا لأسمعهم، ولو أسمعهم ﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فأخبر سبحانه عمَّا لم يكن لو كان كيف يكون.

وقال ﷻ عن المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧]، فهذا إخبار من الله تعالىٰ بما لم يكن لو كان كيف يكون.

فالمرتبة الأولىٰ العلم، وهي الإيمان بأن الله عَلِمَ الأشياء في الأزل، عَلِمَ الأشياء الحاضرة، وعَلِمَ الأشياء المستقبلة، وعَلِمَ ما لم يكن لو كان كيف يكون.

الثانية: كتابة الأشياء في اللوح المحفوظ، وهو لوح عظيم كتب الله فيه بقلم القدر مقادير الخلائق كلها، فلا يتخلَّف شيء عن اللوح المحفوظ.

فكلُّ ما يُسمَّىٰ شيئًا فهو مكتوب في اللوح المحفوظ، كلُّ الذوات مكتوبة في اللوح المحفوظ، ذوات الآدميين، وذوات الجنِّ، وذوات الملائكة، وذوات الحيوانات، وذوات الحشرات، وذوات الأشجار، وذوات المياه، وذوات الهواء.

وكذا ما يكون من الصفات، والأفعال، والحركات، والسكنات، والسعادة والشقاوة لبني آدم والجنِّ، والفقر والغنىٰ، والعزِّ والذُّلِّ،

= **قال الترمذي**: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، **وقال المنذري**: «رواه الترمذي وحَسَّنه، وابن ماجه بإسناد حسن أيضًا، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد». «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٠٦)، **وقال ابن القيم**: «وإسناده صحيح». «حادي الأرواح» (ص ٢٢٦).

والحياة والموت، والعجز والكسب، كلُّ شيء مكتوب.

والأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الكتابة كثيرة ومشهورة ومعلومة.

منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] وهو اللوح المحفوظ، ومفاتح الغيب خمسة كما بيَّنها ﷻ في آخر سورة لقمان قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، علم الساعة ونزول الغيث والعلم بما في الأرحام وكسب الإنسان والأرض التي يموت بها، هي مفاتح الغيب التي لم يُطْلِعْ ﷻ أحدًا عليها بل اختصَّ ﷻ بها.

وفي الآية: إثبات العلم والكتابة.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الحج: ٧٠] وهو اللوح المحفوظ.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢] وهو اللوح المحفوظ.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] وهو اللوح المحفوظ.

ومنها: ما في «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»، قَالَ: «**وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**».

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٣).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: «اكْتُبْ»، قَالَ: «رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟»، قَالَ: «اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»»**[(١)]، **وفي لفظ: «فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[(٢)].

الثالثة: الإرادة والمشيئة، وهي الإيمان بأن كلَّ شيء في هذا الوجود وقع، لا بُدَّ أن يسبق وجودَهُ إرادةُ الله ومشيئتُهُ له.

والإرادة تنقسم إلىٰ قسمين عند **أهل السنة** ـ كما دلت علىٰ ذلك النصوص ـ:

الأول: إرادة كونية قدرية، وهي الإرادة المستلزِمة لوقوع المراد التي يُقال فيها: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

الثاني: إرادة دينية شرعية، وهي محبة المراد ورضاه، ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاؤهم بالحسنىٰ[(٣)].

والفرق بينهما: إن كان المقدَّر يُرِيده الله **كونًا وقدرًا** فلا بُدَّ أن يقع، وأما ما أراده **دينًا وشرعًا** فقد يقع وقد لا يقع؛ لأن لله حكمة بالغة.

والذي وقع في هذا الكون بالنسبة لما شرعه الله ورضيه وأحبه ينقسم إلىٰ قسمين:

قسم أراد الله دينًا وشرعًا وجوده من المحبوبات والطاعات وما أمر به.

وقسم يكرهه الله ويأباه دينًا وشرعًا ونهىٰ عنه كالكفر والمعاصي

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في القدر»، رقم (٤٧٠٠)، والترمذي، كتاب القدر، باب «ما جاء في الرضا بالقضاء»، رقم (٢١٥٥)، **قال الترمذي**: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه».

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ١٨٧، ١٨٨).

فلا يرضاه ﷻ.

فالله ﷻ نهىٰ عن الكفر والمعاصي ولم يرضه ولم يحبه **دينًا ولا شرعًا** لكنه أراده **كونًا وقدرًا**، أي: أراد الله ﷻ وقوع الكفر والمعاصي **كونًا وقدرًا** وإن كان لا يريده **دينًا وشرعًا**؛ لما يترتَّب عليه من الحِكم من وقوع محابِّ ومراضي لله ﷻ، لولا ذلك لفاتت عبودية الجهاد في سبيل الله التي هي من أفضل القُرُبات، ولفاتت عبودية الحبِّ في الله والبغض في الله، ولفاتت عبودية الولاء والبراء، ولفاتت عبودية الدعوة إلىٰ الله، ولفاتت عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولفاتت عبودية الصبر والتحمل، وهكذا.

والله ﷻ قدَّرَ الكفر والمعاصي لما له من الحكمة في انقسام الناس لشقي وسعيد ومؤمن وكافر، وما قدَّره ﷻ بأن خلق للجنة أهلًا وللنار أهلًا، ووعده ﷻ الجنةَ بأن يملأها والنارَ بأن يملأها، ولابتلاء المؤمنين بالكفار والأخيار بالأشرار، فهذه من الحِكَمِ والأسرار.

فكلُّ شيء يقع في هذا الوجود فقد سبقت به إرادة الله ومشيئته، فلا يمكن أن يقع شيء في الوجود من خير أو شرٍّ، أو حُلو أو مُرٍّ، أو ذوات أو صفات أو أفعال، أو طاعات أو معاصي، أو إيمان أو كفر إلَّا وقد سبقت به إرادة الله، فأراد الله وقوعه **كونًا وقدرًا** فوقع، فلا يقع في مُلْكِ الله ما لا يريد؛ لأنه لو وقع في مُلْكِ الله ما لا يريد لوُصِفَ الله بالعجز ـ تعالىٰ الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ـ.

الرابعة: الخلق والإيجاد، وهو الإيمان بأن كلَّ شيء في هذا الوجود خلقه الله تعالىٰ كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفُرقان: ٢]، فَخَلَقَ الذوات والصفات والأفعال، فكلُّ شيء في هذا الوجود مخلوق لله تعالىٰ.

هذه مراتب الإيمان بالقدر الأربعة: الإيمان بالعلم، الإيمان بالكتابة، الإيمان بالإرادة والمشيئة، الإيمان بالخلق والإيجاد، ولا يصح الإيمان بالقدر ولا يتم حتىٰ يؤمن الإنسان والعبد بها[١]، وخالف في ذلك **القدريَّة**.

والقدريَّة طائفتان:

الطائفة الأولىٰ: الغُلاة الذين أنكروا المرتبتين الأوليين **العلم والكتابة، وقالوا:** إن الله لا يعلم بالأشياء حتىٰ تقع، فنسبوا إليه سبحانه الله الجهل ـ نعوذ بالله ـ[٢].

والقدريَّة الأُوَل ظهروا في أواخر عصر الصحابة، وكانوا يطلبون العلم في البصرة فأنكروا قولهم وكَفَّرَهم.

روىٰ مسلم في «صحيحه»[٣] عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ «مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ»، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: «لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: «أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ[٤]»، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ «وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٨- ١٥٠).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤٢٩).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨).
(٤) هو بتقديم القاف علىٰ الفاء، ومعناه: يطلبونه ويتتبعونه، هذا هو المشهور، **وقيل**: معناه: يجمعونه، ورواه بعض **شيوخ المغاربة** من طريق ابن ماهان «**يتفقرون**» بتقديم الفاء وهو صحيح أيضًا، معناه: يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه. شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (١/ ١٥٥).

الْأَمْرَ أُنُفٌ[١]»، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»، وهذا الذىٰ قاله **ابن عمر** رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره **القدريَّة**[٢].

وهم الذين قال فيهم **الإمام الشافعي** رحمه الله: «ناظِروا **القدريَّة** بالعلم، فإن أقرُّوا به خصموا، وإن أنكروا كفروا»[٣] وهؤلاء القدريَّة الأوُلِ قد انقرضوا.

الطائفة الثانية: عامة القدريَّة، آمنوا بالعلم وبكتابة الله في اللوح المحفوظ، وآمنوا أيضًا بالإرادة والمشيئة وبالخلق والإيجاد، إلَّا أنهم أنكروا عموم المشيئة والخلق[٤] قالوا: إن الله أراد وخلق كلَّ شيء إلَّا أفعال العباد، والذي خلقها العباد أنفسُهُمْ، كلٌّ واحد يخلق فعل نفسه استقلالًا من دون الله.

وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكنَّ الكافر شاء الكفر، مرروا إلىٰ هذا لئلا يقولوا: «شاء الكفر من الكافر وعَذَّبَه عليه»، ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرٌّ منه؛ فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالىٰ، فإن الله قد شاء الإيمان منه ـ علىٰ قولهم ـ والكافر شاء الكفر فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالىٰ، وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل[٥].

---

(١) هو بضم الهمزة والنون، أي: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالىٰ، وإنما يعلمه بعد وقوعه، وهذا القول قول **غلاتهم** وليس قول **جميع القدرية**، وكَذَبَ قائله وضلَّ وافترىٰ، عافانا الله وسائر المسلمين. شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (١/ ١٥٦).

(٢) شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (١/ ١٥٦).

(٣) شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٣٠٢).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٣٨٥).

(٥) انظر: شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٢٧٧).

ولهذه الشُّبهة التي حصلت لهم لم يُكفِّرهم **العلماء**، بل **قالوا** : إنهم مبتدعة.

ويُقال في الرَّد عليهم : يلزم علىٰ قولكم «إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه وأن الله لم يُرِدْ من العبد المعصية ولم يخلقها» أنه يقع في مُلْكِ الله ما لا يُريده، وهذه أمر عظيم؛ كيف تقولون أنه يقع في مُلْكِ الله ما لا يُرِيده؟!.

أمَّا القول بأن الله خلق المعاصي فذلك لحكمة بالغة، فالذي يُنسب إلىٰ الله الخلق وله حكمة فيكون خير ورحمة، والذي يُنسب إلىٰ العبد المباشرة والفعل والتسبب فيكون شرًّا، فالمعصية شرٌّ بالنسبة للعبد؛ لأنه هو الذي باشرها وكسبها فضرَّته وعُذِّبَ عليها، ولكنها خير بالنسبة إلىٰ حكمة الله؛ لأنه خلقها لحكمة، وهذا هو معنىٰ قوله ﷺ كما في «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: «....، **لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»، فالشَّرُّ المحضُّ الذي لا حكمة في إيجاده لا يُنسب إلىٰ الله تعالىٰ.

ويُورِث **الإيمان بالقضاء والقدر** سعادةً في الدنيا والآخرة؛ لأن المؤمن إذا عَلِمَ أنه لن يصيبه إلَّا ما كتب الله عليه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه اطمئن قلبه وتعلَّق بربِّهِ، في «صحيح مسلم»[(٢)] عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**».

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، رقم (٧٧١).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٩٩).

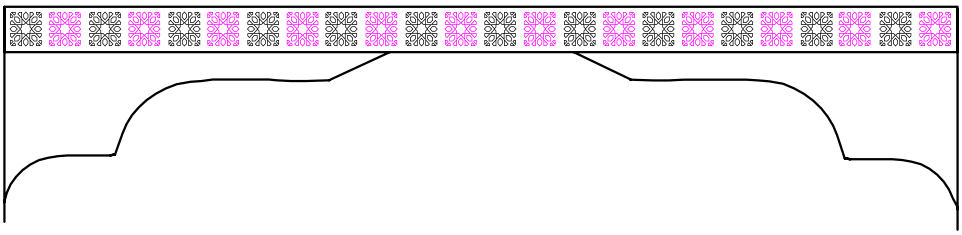

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ وَقَوْلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِسُنَّةٍ».

الشَّرْح

○ قوله: «وَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» بَيَّنَ **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ أن الرُّسُل وأتباعهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهم **أهل السنة والجماعة** يعتقدون أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وأصولهم مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام.

وأصل الإيمان: التَّصديق، قال الله تعالىٰ عن إخوة يوسف عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يُوسُف: ١٧] أي: بمصدِّق، وفي الشرع: قول وعمل.

والقول ينقسم إلىٰ قسمين: قول القلب، وقول اللسان.

والعمل ينقسم إلىٰ قسمين: عمل القلب، وعمل الجوارح، فيكون مُسمَّىٰ الإيمان يشمل أربعة أمور: قول القلب، وقول اللسان ـ وقد يُعبَّر عنه أيضًا بـ«عمل اللسان»ـ، وعمل القلب، وعمل الجوارح[(١)].

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٣٣٠)، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من زاد «اتباع السنة» فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلَّا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الردَّ علىٰ المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل».

الأول: قول القلب التَّصديق والإقرار والمعرفة، **وقول اللسان** النُّطق كنطق بالشهادتين «أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»، فاللسان ينطق والقلب يُقِرُّ ويُصدِّق.

الثاني: قول اللسان يدخل فيه: تلاوة القرآن، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء.

الثالث: عمل القلب كالنية، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والخوف، والرجاء، والرهبة، والرغبة، والتوكل، والإنابة، ومحبة الله، ومحبة الخير، وكراهية الشَّرِّ.

الرابع: عمل الجوارح ما يعمله الإنسان بجوارحه كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والصدقة، والإحسان إلىٰ الناس.

والأدلة علىٰ دخول الأعمال في مُسمَّىٰ الإيمان كثيرة، **منها**:

١- قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ أي: لم يُشركوا، هذا عمل القلب، وقوله: ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحجرات: ١٥] هذا عمل الجوارح ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢- قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ووجَلُ القلب عمل له، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وهذا عمل للقلب ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ وهذا يشمل: عمل القلب وعمل الجوارح؛ لأن التوكل يجمع أمرين: فعل الأسباب النافعة، وتفويض الأمر إلىٰ الله والاعتماد عليه في حصول النتيجة، ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٣] وهذه أعمال الجوارح، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] أي: أولئك مؤمنون بهذه الأعمال، ومن هذه الأعمال: أعمال القلوب، وأعمال الجوارح.

٣- قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النِّسَاء: ٦٥] فجعل تعالىٰ تحكيم النبي ﷺ في موارد النزاع من الإيمان.

٤- ما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»، والبضع من ثلاثة إلىٰ تسعة، فجعل رسول الله ﷺ الإيمان بضع وسبعين شعبة كلُّها داخلة في مُسمَّىٰ الإيمان.

وهذا من أقوىٰ الأدلة في الرَّدِ علىٰ من أنكر دخول الأعمال في مُسمَّىٰ الإيمان.

فالنبي ﷺ مثَّلَ للشُّعبة القولية بالشهادة، ومَثَّلَ للشُّعبة العملية بإماطة الأذىٰ عن الطريق، ومَثَّلَ للشُّعبة القلبية بالحياء، فأقوال اللسان وأعمال الجوارح واعتقاد القلب كلُّها داخلة في مُسمَّىٰ الإيمان.

وأعلىٰ شُعب الإيمان الشهادة، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، وبينهما شُعَبٌ متفاوتة، منها ما يقرب لشُعْبَةِ الشهادة كالصلاة فهي شُعْبة من شُعَبِ الإيمان.

والصيام شُعْبة، والزكاة شُعْبة، والحج شُعْبة، والأمر بالمعروف

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «أمور الإيمان»، رقم (٩) مختصرًا، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٥) ـ واللفظ له ـ.

شُعْبة، والنهي عن المنكر شُعْبة، والجهاد في سبيل الله شُعْبة، وبر الوالدين شُعْبة، وصلة الأرحام شُعْبة، وكفُّ الأذىٰ شُعْبة.

وقد تتبع **الحافظ البيهقي** رَحِمَهُ اللَّهُ شعب الإيمان من الكتاب والسنة حتىٰ أوصلها إلىٰ أعلىٰ البضع إلىٰ تسع وسبعين شعبة، وألَّفَ كتابًا مشهورًا وأثبته بالأسانيد، وسَمَّاهُ «شعب الإيمان».

٥- ما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَىٰ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: «أَقِمْ عِنْدِي حَتَّىٰ أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي» فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ الْقَوْمُ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ؟**»، قَالُوا: «رَبِيعَةُ»، قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَىٰ**»، فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ»، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرِبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، **أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟»، قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ**، ...» الحديث، ففَسَّرَ الإيمان بالأعمال، بالشهادة، والصلاة، والزكاة، والصوم، وأداء الْخُمُسِ من المغنم، وهذا من أقوىٰ الأدلة في الرَّدِ علىٰ من أنكر دخول الأعمال في مُسمَّىٰ الإيمان.

وقد أخرج ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ»[(٢)] عن **الأوزاعي** رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالىٰ** أنه قال: «لا يستقيم الإيمان إلَّا بالقول، ولا يستقيم الإيمان

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «أداء الخمس من الإيمان»، رقم (٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧).

(٢) «الإبانة» رقم (١٠٩٧).

والقول إلَّا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلَّا بنية موافقة للسنة.

وكان من مضىٰ من **سلفنا** لا يُفرِّقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدَّق بعمله فتلك العروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يُصدِّقه بعمله لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين».

وخالف **المرجئةُ أهلَ السنة، يقول أهل السنة**: الإيمان يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، يكون **بالقلب** إذا اعتقد الإيمان والعمل الصالح، ويكون **باللسان** إذا وَحَّدَ الله وشَهِدَ أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله، ويكون **بالجوارح** إذا عَمِلَ الأعمال الصالحة، ويكون الكفر بالقلب وباللسان وبالجوارح، يكون **بالقلب** إذا جحد أو أنكر أو شكَّ، ويكون **باللسان** إذا نطق كلمة الكفر كمن سبَّ الله أو الرسول ﷺ، ويكون **بالجوارح** كمن سَجِدَ لصنم أو امتهن المصحف، **وقالت المرجئة**: الإيمان ليس متعدِّد، بل الإيمان في القلب، وكذلك الكفر.

والمرجئة الذين لا يُدخِلون الأعمال في مُسمَّىٰ الإيمان ثلاث مذاهب:

المذهب الأول: المرجئة المحضة الغُلاة الذين يعتقدون أن الإيمان معرفة الرَّبِّ بالقلب، والكفر جهل الرَّبِّ بالقلب، وهذا **مذهب الجهم بن صفوان**، ومذهب **الجهمية**، **وأبو الحسين الصالحي** من **القدريَّة**.

وهذا القول أفسد وأقبح قول علىٰ وجه الأرض في تعريف الإيمان، **يقول الجهم**: «إذا عرفتَ ربَّكَ بقلبك فأنتَ مؤمن»، وعلىٰ

هذا ليس هناك كافر عند **الجهم**؛ لأنه ليس هناك أحد لا يعرف ربَّهُ بقلبه[(١)].

وعلىٰ مذهب **الجهم** يكون **إبليس** مؤمنًا؛ لأن **إبليس** يعرف ربَّهُ، قال تعالىٰ حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر: ٣٦]، ويكون **فرعون** مؤمنًا؛ لأنه يعرف ربَّهُ بقلبه، قال الله تعالىٰ حكاية عن موسىٰ عليه السلام أنه قال له: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] والعلم معرفة القلب، ويكون **اليهود** مؤمنين؛ لأنهم يعرفون ربَّهُمْ بقلوبهم ويعرفون صدق النبي ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ويكون **أبو طالب** عم الرسول ﷺ الذي مات علىٰ الشِّرك مؤمنًا؛ لأنه يعرف ربَّهُ بقلبه ويعلم صدق الرسول ﷺ، وأُنْشِدَ عنه:

ولقد علمتُ بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا[(٢)]

ومع ذلك ثبت في «الصحيحين»[(٣)] أنه مات علىٰ الكفر، وأبىٰ أن يقول «لا إله إلَّا الله».

و**قال العلماء**: وعلىٰ مذهب **الجهم** يكون نفسه كافرًا؛ لأنه جاهل بربِّهِ، فهو أجهل الناس بربِّهِ ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

المذهب الثاني: مذهب **المرجئة الكرَّامية** أتباع **محمد بن كِرام**، يقولون: الإيمان هو مجرد النطق باللسان، فإذا أقرَّ بلسانه وقال «لا إله إلَّا الله» يكون مؤمنًا ولو كان مُكذِّبًا بقلبه.

وعلىٰ هذا: من نطق بلسانه عند **الكرَّامية** يكون مؤمنًا؛ وعليه

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٤٣، ٥٤٤).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٦١).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «إذا قال المشرك عند الموت «لا إله إلا الله»»، رقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٤).

يكون المنافقون مؤمنين[١].

ويقولون: يكون مؤمنًا كامل الإيمان لأنه نطق بلسانه، ويُخلَّد في النار لأنه كَذَّبَ بقلبه، ويلزم علىٰ قولهم التناقض؛ كيف يكون مؤمنًا كامل الإيمان لأنه نطق بلسانه ومُخلَّدًا في النار لأنه كَذَّبَ بقلبه؟!.

ومذهبهم يلي مذهب **الجهم** في الفساد.

المذهب الثالث: مذهب **مرجئة الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه**، وهو أن الإيمان تصديق القلب وإقرار اللسان فقط[٢]، وأما أعمال الجوارح فهي مطلوبة ولكن ليست من الإيمان، فأعمال الجوارح كالصلاة والصيام والزكاة والحج ليست من الإيمان، ولكنها واجبة.

يقول **أهل السنة**: أعمال الجوارح من الإيمان، ويقول **مرجئة الفقهاء**: أعمال الجوارح ليست من الإيمان، لكنها مطلوبة، وهذا مذهب **الإمام أبو حنيفة وأصحابه**، وهم يُسمَّون «**مرجئة الفقهاء**».

ويقولون: إن الفرق بينه وبين مذهب **الجمهور** خلاف لفظي؛ لأنهم يتفقون علىٰ أن الواجبات واجبات والمحرَّمات محرَّمات، لكن يختلفون في التسمية **فأهل السنة** يُسمُّونها إيمان، **ومرجئة الفقهاء** يُسمُّونها بر وتقوىٰ، **ويقولون**: إنه خلاف لفظي، **والصواب** أنه ليس لفظيًّا بل له آثار تترتب عليه.

منها: أن **جمهور السنة** وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنىٰ، **ومرجئة الفقهاء** وافقوهم في المعنىٰ وخالفوهم في اللفظ، ولا يجوز للإنسان أن يخالف الكتاب والسنة لا في اللفظ ولا في المعنىٰ، بل يجب عليه أن يتأدَّب مع النصوص.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٩٥).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٩٥).

ومنها: أن **مرجئة الفقهاء** لَمَّا اختلفوا مع **أهل السنة**، **وقالوا**: أن الأعمال غير داخلة في مُسمَّىٰ الإيمان فتحوا بابًا للفُسَّاق، **تقول المرجئة**: «إيمان أهل السماء والأرض واحد، فإيمان أتقىٰ الناس وأفسق الناس واحد، وهو التصديق، والتفاوت بينهما ليس في الإيمان بل في الأعمال»، فيأتي السكِّير العربيد الذي يعمل الكبائر ويقول: «أنا مؤمن كامل الإيمان، إيماني كإيمان أبي بكر وعمر، وكإيمان جبريل وميكائيل»، فإذا قلتَ له: «اتقِ الله، أبو بكر وعمر لهما أعمالًا عظيمة»، قال: «ليس لي شأن في الأعمال، فهي ليست من الإيمان، أنا مُصدِّق وأبو بكر مُصدِّق، كلنا إيماننا واحد، أما الأعمال فهي شيء آخر»، فالذي فتح لهم الباب **مرجئة الفقهاء**.

ومنها: أنهم فتحوا بابًا **للمرجئة المحضة الغُلاة كالجهمية**، لَمَّا **قال مرجئة الفقهاء**: «الأعمال ليست من الإيمان وإن كانت مطلوبة»، جاءت **المرجئة المحضة** وقالت: «الصلاة والزكاة والصيام والحج ليست من الإيمان وليست مطلوبة»، والذي فتح لهم الباب **مرجئة الفقهاء**.

ومنها: مسألة الاستثناء في الإيمان، كأن تقول: «أنا مؤمن إن شاء الله»، **يقول مرجئة الفقهاء**: «لا تقل «إن شاء الله»» لا تستثنِ، **يقولون**: «أنتَ تشك في إيمانك؟!، ما تعلم نفسك؟!، أنت تعلم أنك مُصدِّق كيف تقول «إن شاء الله»؟!، إنما تستثني الشيء الذي يُشك فيه»[(١)]، وسَمُّوا الذين يستثنون في إيمانهم **الشكاكة**.

وأما **أهل السنة** يقولون هذا فيه تفصيل: إن قصدتَ الشكَّ في أصل الإيمان فهذا مذموم، وأما إذا أردتَ أن الأعمال لها شعب

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٤٢٩).

متعددة وكثيرة ولا يُزكِّي الإنسان نفسه ولا يجزم بأنه أدَّىٰ ما عليه فلا بأس أن يقول «إن شاء الله»؛ لأن هذا راجع إلىٰ الأعمال، والأعمال لا يُزكِّي الإنسان نفسه فيها، ولا يدري أنه أدَّاها[١]، وكذلك إذا أراد التبرك بذكر اسم الله فله أن يقول «إن شاء الله»، وكذلك إذا أراد عدم علمه بالعاقبة.

○ قوله: «يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» يزيد الإيمان وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإذا فعل الإنسان الطاعات كأن صَلَّىٰ النوافل زاد الإيمان، وإذا صلىٰ قيام الليل زاد الإيمان، وإذا صام النوافل كالاثنين والخميس أو ثلاثة أيام من كلِّ شهر زاد الإيمان، وإذا فعل المعاصي كالسِّباب والشتام وترك بعض الواجبات نقص الإيمان، فالإيمان يزيد وينقص ويقوىٰ ويضعف.

والدليل علىٰ أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية: قول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفَتْح: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التَّوبَة: ١٢٤] فالإيمان يزيد وينقص وكذا الكفر يزيد وينقص.

ومذهب **أهل السنة** المتَّبِعُون للسلف الصالح أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٢].

○ قوله: «وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ» يعني: لا يكفي القول ـ سواء قول قلب أو قول لسان ـ إلَّا بعمل حتىٰ يتحقَّقَ الإيمان، فالتصديق الذي في القلب لا بُدَّ له من عمل يتحققُّ به، وإلَّا صار كإيمان إبليس وفرعون؛ فإبليس وفرعون يُصدِّقُون، فلا يتحقق التصديق بلا عمل.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٤٣٨، ٤٣٩).

(٢) «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ١٨٦).

وكذلك العمل لا بُدَّ له من تصديق يصحِّحُهُ وإلَّا صار كإسلام المنافقين، فالمنافقون يُصلُّون ويصومون وليس عندهم إيمان يُصحِّح هذا العمل، فلا بُدَّ من الأمرين، عمل يتحقَّقُ بالقول، وتصديق يُصحِّحُ العمل.

○ قوله: «وَلَا عَمَلٌ وَقَوْلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ» فلا بُدَّ من النية، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[1].

○ قوله: «وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِسُنَّةٍ» والسنة هي الموافقة لما في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب «كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ؟»، رقم (١)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

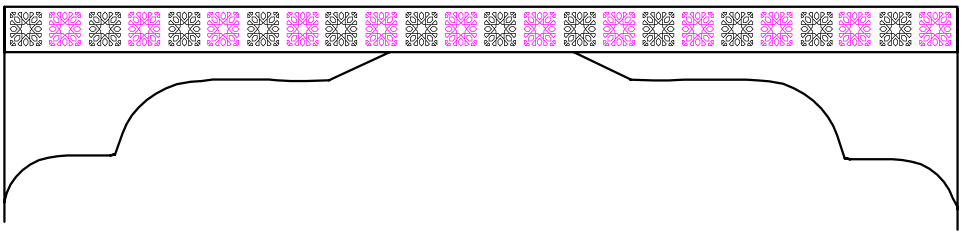

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

«وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلِّهِمْ؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، فَلَنْ يُؤْمِنَ إِلَّا بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، فَمَنْ سَبَّهُمْ أَوْ تَنَقَّصَهُمْ أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَلَيْسَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْفَيْءِ حَقٌّ.

أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: «قَسَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ الْفَيْءَ فَقَالَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الحشر: ١٠] الْآيَةَ، فَمَنْ لَمْ يَقُلْ هَذَا لَهُمْ فَلَيْسَ مِمَّنْ جَعَلَ لَهُ الْفَيْءَ».

الشَّرْح

○ قوله: «وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلِّهِمْ» فالسُّنَّة التَّرَحُّم علىٰ أصحاب محمد ﷺ كلهم.

والأصحاب جمع صاحب، **وأصح** ما قيل في تعريفه: أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات علىٰ الإسلام[(١)]، ويشمل هذا التعريف: الأطفال الذين رأوا النبي ﷺ والذين حنَّكهم ﷺ بيده.

والصحابة الكرام رضوان الله عليهم لهم مزيَّة علىٰ غيرهم؛ فهم قوم اختارهم الله تعالىٰ لصحبة نبيه ﷺ، ما كان ولا يكون أحد مثلهم.

(١) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (١/٦).

ومن فضائلهم: جهادهم مع النبي ﷺ، وأنهم نقلوا إلينا الشريعة وبلغوا دين الله الكتاب والسنة للأمة، وأن النبي ﷺ كان بين أظهرهم، وأنهم شاهدوا تنزيل القرآن، وأنهم سمعوا من النبي ﷺ فقد كان ﷺ يجيب علىٰ أسئلتهم ويُبيِّن لهم معنىٰ كتاب الله وما يشكل عليهم منه، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أفضل الناس بعد الأنبياء.

ولقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة في فضلهم، فمن ذلك:

١- وصفهم الله تعالىٰ في آخر سورة «الفتح» فقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

٢- أثنىٰ الله تعالىٰ عليهم ووعدهم بالجنة، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ هي الجنة، فكلُّهُم موعودون بها.

٣- أثنىٰ تعالىٰ علىٰ **المهاجرين** وحصر الصِّدق فيهم، قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال تعالىٰ في وصف الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]، ثم أثنىٰ سبحانه وتعالىٰ علىٰ من جاء بعدهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

٤- قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وروىٰ مسلم في «صحيحه»[(١)] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»، وعند أبي داود وغيره عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[(٢)].

٥- في «الصحيحين»[(٣)] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

٦- في «الصحيحين»[(٤)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وفي هذا الحديث: التفاضل بين الصحابة أنفسِهم، فهذا خطاب قاله النبي ﷺ **لخالد بن الوليد** رضي الله عنه عند ما حصل بينه وبين **عبدالرحمن ابن عوف** رضي الله عنه بعض الشيء، **وعبد الرحمن** رضي الله عنه من السَّابقين الأولين **وخالد** رضي الله عنه ممن أسلموا بعد ذلك، والسابقون الأولون **أصح** ما قيل

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في الخلفاء»، رقم (٤٦٥٣)، والترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب «في فضل من بايع تحت الشجرة»، رقم (٣٨٦٠)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، **وقال الترمذي**: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب «لا يشهد علىٰ شهادة جور إذا أشهد»، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٣٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب «قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلًا» قاله أبو سعيد»، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٤١) ـ واللفظ له ـ.

فيهم : أنهم هم الذين آمنوا قبل صلح الحديبية، فمن أسلم بعده فليس منهم، **وقيل**: السابقون الأولون هم الذين صلوا إلىٰ القبلتين مع رسول الله ﷺ[(١)]، وسَمَّىٰ الله صلح الحديبية فتحًا لِمَا يترتب عليه من المصالح.

فعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من السابقين الأولين الذين أسلموا قبل صلح الحديبية **وخالد بن الوليد** رضي الله عنه ممن تأخر إسلامه فأسلم بعده، فكان بين **خالد وعبدالرحمن** رضي الله عنهما شيء ما فَسَبَّ **خالدٌ عبدَالرحمن** رضي الله عنهما، فخاطب النبي ﷺ **خالدًا** قال : «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي**» وكلهم صحابة!!، ولكن **عبدالرحمن** رضي الله عنه أسبق في الصُّحبة، «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي**» يعني: الذين تقدَّمت صحبَتُهُمْ لا تسبونهم، فيخاطب النبي ﷺ الصحابي المتأخر وينهاه عن سبِّ الصحابي المتقدِّم، فالذين ليس لهم صحبة أولىٰ بذلك النهي.

«**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**» والمعنىٰ: أن هناك تفاضل بين الصحابة الذين تقدَّم إسلامهم والذين تأخَّر إسلامهم، يقول النبي ﷺ: «لو أنفق **خالدٌ** ـ الذي تأخَّر إسلامه ـ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا، وأنفق **عبد الرحمن** مُدَّ ـ وهو ملء كفِّهِ ـ أو نصيفه لسَبَقه **عبد الرحمن**»، فهذا التفاضل بين الصحابة أنفسهم فكيف التفاضل بين الصحابة والتابعين؟!، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله : «ولهذا يقول من يقول من السلف : «غبار دخل في أنف **معاوية** مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل **عمر بن عبدالعزيز**»[(٢)]، فالصحابة لا عِدْل لهم.

والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة، ولهذا أقرَّ **أهل السنة**

(١) انظر : «تفسير الطبري» (١١/ ٧).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢٢٧).

والجماعة أنه يجب محبة الصحابة، والتَّرضي عنهم، والتَّرحُّم عليهم، واعتقاد أنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، والسُّكوت عما شجر بينهم من خلاف ونزاع، **ويقولون**: «إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها: ما هو كذب، ومنها: ما قد زِيد فيه ونقص وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون» كما ذكر ذلك **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الواسطية»[(١)].

ولا نعتقد أن الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معصومون من الكبائر والصغائر، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السَّوابق والفضائل ما يُوجِب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر حتىٰ إنهم يُغْفر لهم من السيئات ما لا يُغْفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتىٰ بحسنات تمحوه، أو غُفِرَ له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هم أحقُّ الناس بشفاعته، أو ابتُلِيَ ببلاء الدنيا كُفِّرَ به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحقَّقَةِ فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد؟!، والخطأ مغفور، ثم القدر الذي يُنْكَرُ مِنْ فعل بعضهم قليل نَزْرٌ مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل عَلِمَ يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير

(١) «العقيدة الواسطية» (ص ٤٤).

الأمم وأكرمها علىٰ الله»[(١)].

ومحبتهم دين وإيمان وبغضهم من علامات الكفر والنفاق، ولهذا **يقول الإمام الطحاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا نذكرهم إلَّا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[(٢)].

فيجب محبتهم ـ كما هو مُقرَّر في عقيدة **أهل السنة والجماعة** ـ والتَّرضي عنهم، فمن سبَّهم أو تنقَّصهم أو حطَّ من قدرهم دلَّ ذلك علىٰ نفاق في قلبه.

ومَنْ جرحهم أو طعن فيهم فقد طعن في الكتاب والسنة؛ فهم الذين نقلوهما لنا، فكيف يوثق بكتاب وسنة نقلهما أناس مجروحون أو مطعون فيهم أو فُسَّاق أو كُفَّار ـ والعياذ بالله ـ كما يقولوا بعض الطوائف المنحرفة **كالرافضة وغيرهم**؟!.

ولهذا أقرَّ المحدِّثون أن الصحابة كلهم عُدُول ولا يُبحث عنهم في رواية الحديث، بخلاف من بعدهم فيبحث عنهم فيُجرَّح من يُجرَّح ويُعدَّل من يُعدَّل، أما الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم فكلهم عُدُول.

ومَنْ سبَّهم لغيظ وغيره فهذا فسق، ومَنْ سبَّهم تكفيرًا لهم فهذا كفر ورِدَّة ـ نعوذ بالله ـ؛ لأن من كَفَّرَ الصحابة رضوان الله عليهم فهو مُكذِّب لله؛ لأن الله تعالىٰ زكَّاهم، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفَتْح: ٢٩]، ورضي عنهم، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْح: ١٨] ووعدهم بالمغفرة

(١) «العقيدة الواسطية» (ص ٤٤، ٤٥).
(٢) «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٧).

والجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، فمن كَفَّرَهم فقد كَذَّبَ الله، ومن كَذَّبَ الله فقد كفر.

ومن اعتقد أن القرآن غير محفوظ وأنه لم يبق منه إلَّا الثلث كما تقول بعض الطوائف **كالرافضة وغيرهم** فهو مُكذِّب لله؛ لأن الله تعالىٰ أخبر أنه محفوظ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، ومن عبد الرسول ﷺ فهو مُشْرِك؛ فالرسول ﷺ له حقُّ التعظيم والطاعة والمحبة وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لكنه لا يُعبد من دون الله، ومن غلا في آل البيت ـ مثل علي أو فاطمة أو الحسن أو الحسين ـ وعبدهم من دون الله فذبح لهم**كالرافضة وغيرهم** فهو مُشْرِك؛ لأن العبادة حقٌّ لله ﷻ.

وهذا التكفير إنما هو بالعموم، أما الشخص بعينه فلا يُكفَّر إلَّا إذا ثبتت عليه الحجة ولم يكن عنده شُبْهة.

مَنْ قال «إن القرآن مخلوق» كافر(١)، ومَنْ أنكر رؤية الله تعالىٰ في الآخرة كافر، وهذا تكفير بالنوع لا بالعين، يعني: مَنْ قال هذا المقالة كفر، أما الشخص المُعيَّن فلا يكفر إلَّا إذا قامت عليه الحجة ولم يكن عنده شُبْهة.

فنقول علىٰ العموم: «مَنْ كَفَّرَ الصحابة كفر»، و«مَنْ قال «إن القرآن مخلوق» كفر»، و«مَنْ أنكر رؤية الله تعالىٰ في الآخرة كفر»، و«مَنْ قال إن القرآن غير محفوظ ولم يبقَ منه إلَّا الثلث كفر»، و«مَنْ عبد آل بيت ودعاهم من دون الله كفر»، أما الشخص المُعيَّن فلا بُدَّ أن

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٨٧).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٣٠٦)، (٧/ ٦١٩).

تقوم الحجة عليه[١].

○ قوله: «فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] فَلَنْ يُؤْمِنَ إِلَّا بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، فَمَنْ سَبَّهُمْ أَوْ تَنَقَّصَهُمْ أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَلَيْسَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْفَيءِ حَقٌّ» فإذا قاتل المسلمون الكُفَّار وجاهدوهم فما أخذه المسلمون منهم إن كان بعد قتال يُسمَّىٰ غنيمة، ويؤخذ منها خمسها، وتُقسَّم خمسة أخماس، خُمُس لله ولرسوله، وخُمُس لذوي القربىٰ، وخُمُس لليتامىٰ، وخُمُس للمساكين، وخُمُس لابن السبيل، وأربعة أخماسها تُقسَّم علىٰ المجاهدين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١]، وإن كان بغير قتال كأن يهربوا ويتركوا أموالهم فيأخذها المسلمون فيُسمَّىٰ فيئًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾﴾ [الحشر: ٦] **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله: «يقول تعالىٰ مبيِّنًا ما الفيء وما صفته وما حكمه؟، فالفيء: كل مال أُخِذَ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا رِكاب كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا رِكاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقىٰ الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فأفاءه الله علىٰ رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء فردَّهُ علىٰ المسلمين في وجوه البرِّ والمصالح التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات، ثم قال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: جميع البلدان التي تُفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير،

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧] إلىٰ آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه»(١).

ثم قَسَّمَ تعالىٰ الفيء علىٰ ثلاثة طوائف:

الطائفة الأولىٰ: المهاجرون، وهم الصحابة الذين هاجروا من مكة إلىٰ المدينة، قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

الطائفة الثانية: الأنصار، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

الطائفة الثالثة: مَنْ جاء بعد المهاجرين والأنصار ممن يدعو ويستغفر للمهاجرين والأنصار، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

فدلَّ علىٰ أن الذي يأتي بعد الصحابة الكرام ﷺ لن يؤمن إلَّا بالاستغفار لهم، وأن مَنْ سبَّهم أو تنقَّصهم أو أحدًا منهم فليس علىٰ السنة، وليس له في الفيء حقٌّ؛ لأنه ليس من المسلمين.

○ قوله: «أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: «قَسَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ الْفَيءَ فَقَالَ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣٦) باختصار يسير.

وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الحشر: ١٠] **الْآيَةَ، فَمَنْ لَمْ يَقُلْ هَذَا لَهُمْ فَلَيْسَ مِمَّنْ جَعَلَ لَهُ الْفَيْءَ»** أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[(١)] عن مَعْنِ بن عيسىٰ قال: سمعت **مالك بن أنس** يقول: «من سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في الفيء حقٌّ؛ يقول الله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ الآية، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية، هؤلاء الأنصار، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ٩-١٠] فالفيء لهؤلاء الثلاثة، فمن سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ فليس من هؤلاء الثلاثة، ولا حقَّ له في الفيء».

وانتزع **الإمام مالك رحمة الله عليه** ـ في رواية عنه ـ من قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩] انتزع تكفير **الروافض** الذين يبغضون الصحابة ﷺ، **قال**: «لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة ﷺ فهو كافر؛ لهذه الآية»، ووافقه **طائفة من العلماء** ﷺ علىٰ ذلك[(٢)].

ويجب **أهل السنة** جميع الصحابة ﷺ، ويعرفون لكلٍّ واحد منهم حقَّهُ وفضله، فهم أكمل الأمة إسلامًا بعد الأنبياء والمرسلين.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٢٤٠٠).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٩٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٥)، ووافقه الإمام الشافعي رحمه الله وجماعة من الأئمة، انظر: «الصواعق المحرقة» للهيتمي (٢/ ٦٠٧).

(٣) «أصول السنة» رقم (١٨٩).

أخرج ابن أبي زمنين في «أصول السنة»[١] عن **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «من أحبَّ **أبا بكر** فقد أقام الدين، ومن أحبَّ **عمر** فقد أوضح السبيل، ومن أحبَّ **عثمان** استنار بنور الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أحبَّ **عليًّا** فقد أخذ بالعروة الوثقىٰ، ومن أحسن الثناء علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق، ومن ينتقَّص أحدًا منهم أو يبغضه لشيء كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، والخوف عليه أن لا يُرفع له عمل إلىٰ السماء حتىٰ يحبهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا».

وأخرج الخطيب البغدادي في «الكفاية»[٢] عن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: سمعت **أبا زرعة** يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقَّص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حقٌّ والقرآن حقٌّ، وإنما أدَّىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطِلُوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة».

والزنديق هو المنافق، كان يُسمَّىٰ «منافق» في عهد النبي ﷺ ثم سُمِّيَ «زنديق».

والنفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنىٰ المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا، يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، وهو مأخوذ من النَّافقاء أحد جحرة اليربوع، إذا طُلِبَ من واحد هرب إلىٰ الآخر وخرج منه، **وقيل**: هو من النَّفَق وهو السَّرب الذي يستتر فيه لستره كفره[٣].

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح القدير»[٤]: «أمرهم الله

(١) «الكفاية في علم الرواية» (ص ٤٩).
(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ٩٧).
(٣) «فتح القدير» (٥/ ٢٠٢).

سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغلَّ للذين آمنوا علىٰ الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولًا أوليًّا؛ لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة علىٰ العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غِلًّا لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلَّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه، وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يَفِدُ به علىٰ نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلىٰ الله سبحانه والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغِلِّ لخير القرون وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغِلِّ إلىٰ شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الدَّاء الْعُضَالُ إنما يصاب به من ابتلىٰ بِمُعَلِّم من الرافضة أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطَان وزيَّن لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله ﷺ المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدىٰ، واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلىٰ منزلة ومن رتبة إلىٰ رتبة حتىٰ صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط».

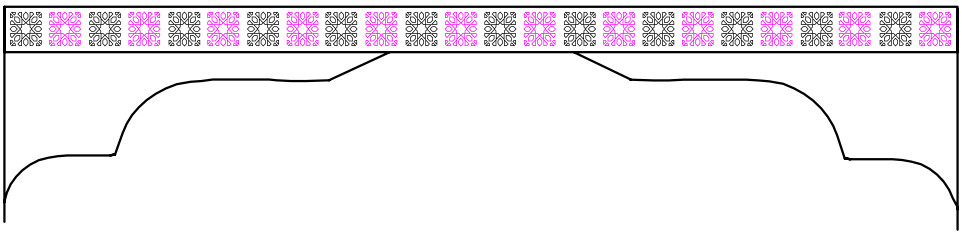

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَمَنْ قَالَ «مَخْلُوقٌ» فَهُوَ مُبْتَدِعٌ؛ لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ هَذَا».

الشَّرْح

○ قوله: «وَالْقُرْآنُ» والمراد كتاب الله الذي هو أفضل وأعظم وخير كتاب، أنزله الله بالحقِّ هداية للناس وبشرىٰ للمؤمنين وإنذارًا لمن خالف أمره.

وهو الذي يهدي لأقوم الأخلاق والطُّرُق، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسرَاء: ٩-١٠].

وهو حياة القلوب، سَمَّاهُ الله «روحًا»؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وسَمَّاهُ «نورًا»؛ لتوقف الهداية عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وأفضلهم وسيِّدهم عليه وعلىٰ سائر النبيين أفضل الصَّلاة وأتم التسليم.

وهذا الكتاب العظيم مُصدِّق لكُتُب الماضية والمهيمن والحاكم عليها، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: ٤٨].

مَنْ عَمِلَ بالقرآن وبسنة النبي ﷺ فهو السعيد، ومن خالف القرآن والصراط المستقيم فهو الشَّقِي، فإذا عَمِلَت الأمة الإسلامية بهذا القرآن العظيم وبالسنة النبوية وحُكِّمَ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كلِّ شأن من شئونها كان لها العزَّة والرِّفعة والسِّيادة، وإذا ضيَّعتهما أصابها الخسارة والشَّقاء، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

○ قوله: «كَلَامُ اللهِ» تكلَّم تعالىٰ به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبَة: ٦]، وسَمِعَهُ منه جبرائيل، ونزل به علىٰ قلب نبينا محمد ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥].

وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف(١).

خلافًا لأهل البدع، **قالت المعتزلة**: «القرآن مخلوق»، **وقالت الأشعرية**: «كلام الله ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو معنىٰ قائم في نفسه لم ينزل علىٰ نبينا ﷺ ولا علىٰ غيره»، وما نقرأه **عندهم** مخلوق(٢).

واستدل **الأشاعرة** علىٰ أن الكلام اسم للمعنىٰ دون اللفظ بقول الشاعر **الأخطل** النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلا(٣)

أي: هذا الكلام في الفؤاد في القلب ما نطق، أما اللسان فهو

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٠٨)، (١٢/ ٣٦).
(٢) انظر: «الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم الأصبهاني (١/ ٤٢٩)، و«الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار» ليحيىٰ بن أبي الخير العمراني (٢/ ٥٤٤).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٩٦).

دليل علىٰ ما في القلب، فكذلك القرآن دليل علىٰ ما في نفس الله من المعنىٰ.

قيل لهم : «**الأخطل** نصراني، فكيف تستدلون بقول نصراني ؟!»، **النصارىٰ** كُفَّار ويُضِلُّوا في معنىٰ الكلام، هل يُستدلُّ بقول نصراني قد ضلَّ بمعنىٰ الكلام علىٰ معنىٰ الكلام وهم زعموا أن عيسىٰ نفس كلمة الله، **وقالوا** : إن عيسىٰ جزء من الله ـ نعوذ بالله من هذا الكفر والضلال ـ، **والمسلمون** يقولون : إن عيسىٰ مخلوق بكلمة الله، فعيسىٰ ليس نفس الكلمة ولكنه مخلوق بالكلمة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٩]، فعيسىٰ مخلوق بكلمة «كُنْ» وليس هو كلمة «كُنْ»، فكيف يُستدلُّ بقول نصراني قد ضلَّ في معنىٰ الكلام علىٰ معنىٰ الكلام ويُتْرَك ما يدل علىٰ معنىٰ الكلام من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وما دلت عليه اللغة العربية؟!

ومَنْ قال : «إن القرآن مخلوق» كافر[(١)]، والتكفير هنا تكفير بالنوع لا بالعين، فالشخص المعين لا يكفر إلَّا إذا قامت عليه الحجة كما تقدَّم.

وتبيَّن أن القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه، وليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف كما قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الواسطية»[(٢)] وهي عقيدة عظيمة مختصرة في معتقد **أهل السنة والجماعة، قال** رَحِمَهُ اللَّهُ : «**ومن الإيمان بالله وكُتُبِهِ** : الإيمان بأن القرآن كلام الله مُنزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلَّم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله علىٰ محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٨٧).
(٢) «العقيدة الواسطية» (ص ٣٠).

عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالىٰ حقيقة؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلىٰ من قاله مبتدئًا لا إلىٰ من قاله مُبلِّغًا مؤدِّيًا، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف».

وقوله «منه بدأ» يعني: أن القرآن بدأ من الله، أي: أن الله تكلَّم به.

وقوله «وإليه يعود» أي: في آخر الزمان حينما يترك الناس العمل به فيُرفع القرآن من الصُّدور والمصاحف، وذلك قُرْبَ قيام الساعة، فلذلك يجب العمل به قبل قيام الساعة.

○ قوله: «سَمِعْتُ سُفْيَانَ» وهو **ابن عيينة الإمام المشهور**[(١)] «يَقُولُ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَمَنْ قَالَ «مَخْلُوقٌ»» وهذا قول **المعتزلة**، فكَفَّرَ الأئمة من قال «إن القرآن مخلوق»، وهو المأثور عن **عامة أئمة السنة والحديث** أنهم كانوا يقولون «من قال «القرآن مخلوق» فهو كافر[(٢)]، ولا يُكفَّر الشخص المعيَّن حتىٰ تقوم عليه الحجة كما تقدَّم.

○ قوله: «فَهُوَ مُبْتَدِعٌ؛ لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ هَذَا» وإنما قاله **أهل البدع**.

ولم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة»[(٣)] قال: حدثني غياث بن جعفر، قال: سمعت **سفيان بن عيينة يقول**: «القرآن كلام الله ﷻ، من قال مخلوق فهو كافر، ومن شكَّ في كفره فهو كافر»، وفي «التاريخ الكبير»[(٤)] للبخاري أن

(١) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٥٤ ـ ٤٧٥).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٨٧).
(٣) «السنة» رقم (٢٥).
(٤) «التاريخ الكبير» (٢/ ٣٣٨).

الحكم بن محمد أبا مروان الطبري سَمِعَ **سفيان بن عيينة قال** : «أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ـ منهم : عمرو بن دينار ـ يقولون: «القرآن كلام الله، وليس بمخلوق».

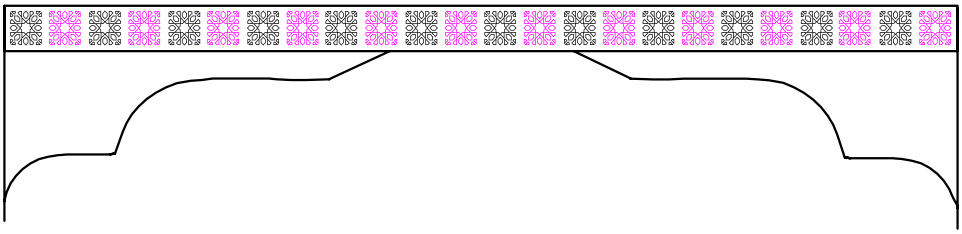

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

«وَسَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ»، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَا تَقُلْ «يَنْقُصُ»»، فَغَضِبَ وَقَالَ: «اسْكُتْ يَا صَبِيُّ، بَلْ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ»».

الشَّرْح

أخرجه الآجري في «الشريعة»(١) عن خلف بن عمرو الْعُكْبَرِيِّ، قال : حدَّثنا الحميدي، قال : سمعت **ابن عيينة** يقول : «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة : «يا أبا محمد، لا تقولن «يزيد وينقص»»، فغضب وقال : «اسكت يا صبي، بلىٰ حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء».

○ قوله : «وَسَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ : «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ» وهذا قول **أهل السنة والجماعة**، وتقدَّم.

الإيمان قول وعمل، والقول قسمان : **قول القلب** وهو التَّصديق والإقرار والمعرفة، **وقول اللسان** وهو النُّطق والكلام.

والعمل نوعان : **عمل القلب** وهو النية والإخلاص والصِّدق والمحبة والخوف والرجاء، **وعمل الجوارح** كالصلاة والصيام وغيرهما.

○ قوله : «وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ» وهذا قول **أهل السنة والجماعة**، خلافًا **للمرجئة** الذين يقولون الأعمال غير داخلة في مُسمَّىٰ الإيمان،

(١) «الشريعة» رقم (٢٤٤).

ويقولون : إنه لا يزيد ولا ينقص[(١)].

○ قوله: «فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُيَيْنَةَ» أبو إسحاق الكوفي، أخو سفيان وعمران ومحمد وآدم[(٢)] «: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَا تَقُلْ «يَنْقُصُ»»، فَغَضِبَ وَقَالَ : «اسْكُتْ يَا صَبِيُّ، بَلْ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ»» وهذا من باب التأكيد علىٰ أنه يزيد وينقص.

والأدلة علىٰ أنه يزيد وينقص كثيرة، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفَتْح: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدَّثِّر: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التّوبَة: ١٢٤-١٢٥].

يزيد الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية، وقال البخاري : «وقال معاذ: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[(٣)]، وقد رُوِيَ مثله عن طائفة من الصحابة، عن زبيد، عن زر قال : «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه : «هَلُمُّوا نزداد إيمانًا» فيذكرون الله تعالىٰ[(٤)].

وأما قول **سفيان** لأخيه «اسْكُتْ يَا صَبِيُّ» ليس هذا من باب الذَّم والعيب، بل عند المشادة يحصل هذا الكلام للتأكيد.

«بَلْ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ» يعني : أنه ينقص حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء، ومعلوم أن الإيمان إذا انتهىٰ يصل للكفر.

---

(١) انظر: «العقيدة الأصفهانية» لابن تيمية (ص ١٧٥).

(٢) ترجمته في: «تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ١٦٣- ١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان، (١/ ١١)، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٦٤) رقم (٣٠٣٦٣)، **قال ابن حجر** : «هذا موقوف صحيح». «تغليق التعليق» (٢/ ٢١).

(٤) «الشريعة» للآجري رقم (٢١٧).

فإذا عمل الإنسان كفرًا أكبر خرج من المِلَّةِ فينتهي إيمانه، أما المعاصي ولو كَثُرَتْ منه فلا تقضي علىٰ الإيمان، بل لا بُدَّ أن يبقىٰ شيء منه، فيبقىٰ في بعض المؤمنين الذين كَثُرَتِ المعاصي عندهم أدنىٰ حبة من خردل من الإيمان فيخرج به من النار؛ لأنه بَقِيَ علىٰ التوحيد ولم يعمل كفرًا يُخْرِجُهُ من المِلَّةِ، ولكن أضعفت المعاصي هذا الإيمان حتىٰ لم يبقَ إلَّا حبة من خردل فيعذبهم الله إذا شاء ويشفع فيهم.

وقد ثبتت الأخبار أن النبي ﷺ يشفع أربع مرات في كل مرة يحد الله له حدًّا ليخرجهم من النار بالعلامة كما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، وفي المرة الأخيرة قال ﷺ: «**فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»، فَيَقُولُ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ» فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ**».

وهذا الإيمان يُخْرِجُ من النار فلا يُخَلَّد فيها، أما الكفر فيقضي علىٰ الإيمان حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء إطلاقًا، ولهذا الكفرة يُخلَّدون في النار؛ فليس معهم شيء من الإيمان والتوحيد، أما العصاة فيخرجون من النار بعد دخولهم فيها وقد تفحَّموا، ثم يخرجون منها إلىٰ الجنة[(٢)].

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) تقدَّم تخريجه.

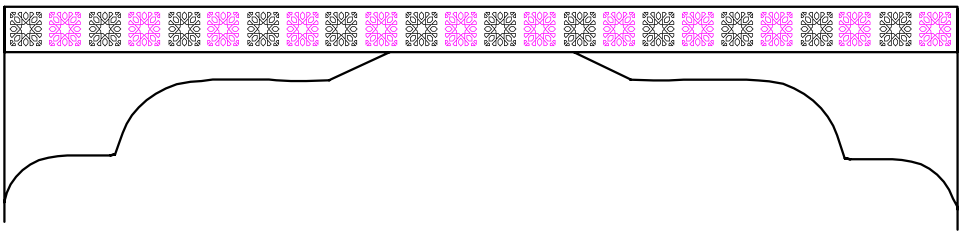

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

«وَالْإِقْرَارُ بِالرُّؤْيَةِ بَعْدَ المَوتِ».

الشَّرح

○ قوله: «وَالْإِقْرَارُ بِالرُّؤْيَةِ بَعْدَ المَوتِ» المراد بالرؤية: رؤية الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بعد الموت، **والصحابة والتابعون وأئمة المسلمين** علىٰ أن الله يُرىٰ في الآخرة بالأبصار عيانًا[(١)].

وقد دلت الآيات الكريمة من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ علىٰ ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القِيَامَة: ٢٢] بالضاد، من النَّضْرَة والبهاء والحُسْنِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٣] بالظاء، يعني: تنظر إلىٰ ربِّها، والمراد بها: تنظر إلىٰ ربِّها بأبصارها.

ووجه الدلالة كما **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإضافة النظر إلىٰ الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة ﴿إِلَىٰ﴾ الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل علىٰ أن المراد بالنظر المضاف إلىٰ الوجه المعدىٰ بـ ﴿إِلَىٰ﴾ خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلىٰ نفس الرَّبِّ جلَّ جلاله»[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطفّفين: ١٥]

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٣٣٦).
(٢) «حادي الأرواح» (ص ٢٠٤).

فدلت الآية علىٰ أن الكفار محجوبون عن رؤية الله ﷻ فلا يرونه، فدل بهذه الآية بمفهومها علىٰ أن المؤمنين ينظرون إلىٰ الله ﷻ وأنهم غير محجوبين عن رؤيته، وقد استدل **الإمام الشافعي** رحمه الله بهذه الآية علىٰ رؤية المؤمنين لربِّهم، **قال** رحمه الله: «**وفي هذه الآية**: دليل علىٰ أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ»[(١)] وقال رحمه الله: «لَمَّا حجب قومًا بالسخط دل علىٰ أن قومًا يرونه بالرضا»[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد ثبت في «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟»، فَيَقُولُونَ: «أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟»، فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ** ﷻ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»، ففسَّر النبي ﷺ قوله تعالىٰ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ في الآية بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم.

وأما الأحاديث فهي متواترة كما قال **العلَّامة ابن القيم** رحمه الله[(٤)]، **وقد رواها عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين صحابي**[(٥)].

منها: ما في «الصحيحين»[(٦)] عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٨٦).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٦١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨١).

(٤) «حادي الأرواح» (ص ٢٠٥).

(٥) **قال ابن حجر**: «جمع **الدارقطني** طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالىٰ في الآخرة فزادت علىٰ العشرين، وتتبعها **ابن القيم** في «حادي الأرواح» فبلغت الثلاثين، وأكثرها جياد، وأسند **الدارقطني** عن يحيىٰ بن معين قال: «عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية صحاح»». «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٤).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب «فضل صلاة العصر»، رقم (٥٥٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٣).

قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةً ـ يَعْنِي: الْبَدْرَ ـ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩].

قال الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله عقيب هذا «**فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» يدل علىٰ أن الرؤية قد يُرجىٰ نيلها بالمحافظة علىٰ هاتين الصلاتين، وخُصِّتَا بهذا كما خُصِّتَا بلقب التوسط من بين الخمس، وإن كانت كل واحدة من الخمس مستحقة لهذه الصفة وفي وضع الحساب»[(١)].

ومنها: في «الصحيحين»[(٢)] عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

ومنها: ما في «الصحيحين»[(٣)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ»، قَالَ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: «لَا»، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**».

وقد أنكر **المعتزلة** رؤية الله تعالىٰ يوم القيامة، وفسَّروا الرؤية

---

(١) «شرح السنة» للبغوي (٢/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]»، رقم (٧٤٤٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب «فضل السجود»، رقم (٨٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٢). ﷺ

بالعلم[١] قالوا: تأتي الرؤية بمعنىٰ العلم كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١] أي: ألم تعلم؟، **قالوا**: معنىٰ قوله ﷺ «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» أي: أنكم تعلمون ربكم كما تعلمون أن هذا قمر[٢]، وهذا باطل.

نقول: الرؤية تأتي بمعنىٰ العلم، وتأتي بمعنىٰ الحُلم الذي يُرىٰ في المنام، وتأتي بمعنىٰ الرؤية بالبصر، ولكن لا بُدَّ من قرينة تُحدِّد المعنىٰ، وهل هناك قرينة أوضح من قوله ﷺ «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ»، قَالَ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: «لَا»، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»؟!.

ومنها: ما في «الصحيحين»[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ»، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: «أَنَا رَبُّكُمْ»، فَيَقُولُونَ: «نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ»، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: «أَنَا رَبُّكُمْ»، فَيَقُولُونَ: «أَنْتَ رَبُّنَا»، فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ**

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (٢/ ٣٩٦).
(٢) انظر: «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علىٰ المَرِيْسِيِّ الجهمي العنيد» (١/ ٣٥٩).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «الصراط جسر جهنم»، رقم (٦٥٧٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

جَهَنَّمَ،...» الحديث.

قوله «**وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ**» فيتبعون طواغيتهم فيسقطون في النار كما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**[(٢)]، **ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: «مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟»، قَالُوا: «كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ»، فَيُقَالُ: «كَذَبْتُمْ؛ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟»، قَالُوا: «نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا»، فَيُقَالُ: «اشْرَبُوا» فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَىٰ: «مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟»، فَيَقُولُونَ: «كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ»، فَيُقَالُ: «كَذَبْتُمْ؛ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟»، فَيَقُولُونَ: «نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا»، فَيُقَالُ: «اشْرَبُوا» فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ**».

«**وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ**» المحمدية الذين يعبدون الله «**فِيهَا مُنَافِقُوهَا**» والحكمة في كون المنافقين معهم: لأن المنافقين في الدنيا كانوا يُظهِرُون الإسلام ويُبطِنُون الكفر فكانوا مع المسلمين في الدنيا يُصلُّون ويصومون فكانوا معهم يوم القيامة، ولكن بعد ذلك يُمْكَرُ بهم، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣]، وينطفئ نورهم، ويُذهَب بهم إلىٰ النار ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

«**فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**» يعني: في غير صورته التي يعرفونه بها «**فَيَقُولُ: «أَنَا رَبُّكُمْ»، فَيَقُولُونَ: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا**

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]»، رقم (٧٤٤٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٣).

(٢) وغبر كل شيء: بقيته، والجمع أغبار. «لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٣).

مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ﷻ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا ﷻ عَرَفْنَاهُ» وفي «الصحيحين»[(١)]: «**فَيَقُولُ: «هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟»، فَيَقُولُونَ: «السَّاقُ»، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ[(٢)] فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»**.

ويرىٰ المؤمنون ربَّهم في موقف يوم القيامة أربع مرات، **ولشيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا بعنوان «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» وهو كتاب عظيم، وهو من عيون كُتُب **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ، وساق رَحِمَهُ اللَّهُ الأحاديث التي دلت علىٰ أن المؤمنين يرون ربَّهُم في موقف القيامة أربع مرات، فيرونه في المرة الأولىٰ، ثم المرة الثانية يتجلىٰ لهم في غير الصورة التي يعرفونه فينكرونه، ثم يتجلىٰ لهم في الصفة التي يعرفون فيسجدون له وهي المرة الثالثة، فإذا رفعوا رؤوسهم تجلىٰ لهم في الصورة التي رأوها أول مرة.

وأعظم نعيم لأهل الجنة رؤية الله تعالىٰ، ويرىٰ المؤمنون ربَّهم قبل دخول الجنة ويرونه بعد دخولها علىٰ حسب أعمالهم، فأعظمهم من يرىٰ ربَّه بكرة وعشيًّا ـ نسأل الله تعالىٰ من فضله ـ.

واتفق سلف الأمة أنه لا يرىٰ اللهَ أحدٌ في الدنيا بعينه إلَّا ما نازع فيه **بعضهم** من رؤية نبينا محمد ﷺ خاصَّة[(٣)].

واختلفوا في رؤيته ﷺ ربَّهُ ليلة المعراج هل رأىٰ ربَّهُ بعين رأسه أو رآه بعين قلبه؟، علىٰ قولين:

القول الأول: أن النبي ﷺ رأىٰ ربَّهُ بعين رأسه، رُوِيَ هذا عن

---

(١) تقدَّم تخريجه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **قال العيني**: «لفظة «كي» هنا بمنزلة لام التعليل في المعنىٰ والعمل، دخلت علىٰ كلمة «ما» المصدرية بعدها «أن» مضمرة، تقديره: يذهب لأجل السجود». «عمدة القاري» (١٢٩/٢٥).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥١٠).

ابن عباس رضي الله عنهما[(١)] **والإمام أحمد** رحمه الله[(٢)].

القول الثاني : أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ بعين رأسه، وإنما سمع كلامه من وراء حجاب، ورآه بعين قلبه، والرؤية بعين القلب تعني زيادة في العلم.

والصواب في هذه المسألة : أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ ليلة المعراج بعين رأسه، وإنما رآه بعين قلبه، والأدلة علىٰ هذا كثيرة.

منها : ما رواه مسلم في «صحيحه»[(٣)] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟»، قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**[(٤)]»، **ومعناه: حجابه نور فكيف أراه؟!**[(٥)].

ومنها : ما رواه مسلم في «صحيحه»[(٦)] عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، رقم (١٧٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣] قَالَ: «**رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ**».
قال ابن تيمية : «كما سمع **بعض الناس** مطلق كلام **ابن عباس** ففَهِمَ منه رؤية العين». «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٠٩).
وقال ابن القيم : «وقد حكىٰ **عثمان بن سعيد الدارمي** في كتاب «الرؤية» له **إجماع الصحابة** علىٰ أنه لم يرَ ربه ليلة المعراج، **وبعضهم** استثنىٰ **ابن عباس** فيمن قال ذلك، **وشيخنا** يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة؛ فإن **ابن عباس** لم يقل رآه بعيني رأسه». «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٢).
وقال: «وأما قول **ابن عباس** أنه رآه بفؤاده مرتين فإن كان استناده إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ ـ والظاهر أنه مستنده ـ فقد صح عنه أن هذا المرئي جبريل رآه مرتين في صورته التي خُلِقَ عليها، وقول **ابن عباس** هذا هو مستند **الإمام أحمد** في قوله رآه بفؤاده، والله أعلم». «زاد المعاد» (٣/ ٣٨).

(٢) قال القاضي أبو يعلىٰ: «والرواية الأولىٰ أصح، وأنه رآه في تلك الليلة بعينيه». «إبطال التأويلات» (ص ١١١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٨).

(٤) بتنوين «**نُورٌ**»، وبفتح الهمزة في «**أَنَّىٰ**» وتشديد النون وفتحها، و«**أَرَاهُ**» بفتح الهمزة، هكذا رواه **جميع الرواة** في جميع الأصول والروايات. شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (٣/ ١٢).

(٥) شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (٣/ ١٢).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٩).

قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»، فكلمة «**مِنْ خَلْقِهِ**» يدخل فيها النبي ﷺ، فلو كشف الحجاب لاحترق الخلق والرسول ﷺ منهم.

وجماهير الصحابة علىٰ أن النبي لم يرَ ربَّهُ ليلة المعراج[(١)] ومنهم: عائشة رضي الله عنها، في «الصحيحين»[(٢)] عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: «يَا أُمَّتَاهْ، هَلْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟»، فَقَالَتْ: «**لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ**[(٣)]؛ **أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ؟!، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا** رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١] وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﷺ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الْآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ».

ولم يثبت أن أحدًا رأىٰ الله في الدنيا، بل لَمَّا سمع موسىٰ عليه الصلاة والسلام كلام الله من وراء حجاب طمع في رؤيته ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، قال تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ

---

(١) حكىٰ **إجماع الصحابة** علىٰ أنه لم يرَ ربه ليلة المعراج **عثمان بن سعيد الدارمي** في كتاب «الرؤية». انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم (ص ١٢)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (١)، رقم (٤٨٥٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٧).

(٣) **قال النووي**: «وأما قولها رضي الله عنها «**قَفَّ شَعَرِي**» فمعناه: قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يُقال، **قال ابن الاعرابي**: «تقول العرب عند إنكار الشيء «قفَّ شعري»، و«اقشعر جلدي»، و«اشمأزت نفسي»». شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (٣/ ١٠).

مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]، **قيل**: بأنه لا يراك حي إلَّا مات، ولا يابس إلَّا تدهده[(١)]، وفي «سنن الترمذي»[(٢)] عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] **قَالَ حَمَّادٌ**: هَكَذَا، وَأَمْسَكَ **سُلَيْمَانُ** بِطَرَفِ إِبْهَامِهِ عَلَىٰ أُنْمُلَةِ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَىٰ، قَالَ: «**فَسَاخَ الْجَبَلُ**»، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ عُمَرَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ: «**إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ «كَافِرٌ»، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ**»، وَقَالَ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّىٰ يَمُوتَ**»؛ لأن البشر لا يستطيعون رؤيته في الدنيا، ولكن يوم القيامة ينشؤون نشأة قويَّة يتحملون فيها رؤيته ﷻ.

وجمع المُحقِّقُون **كشيخ الإسلام ابن تيمية**[(٤)] **وغيره**[(٥)] بين القولين بأن النصوص والآثار وأقوال أهل العلم التي فيها أنه رآه تُحمل علىٰ أنه رآه بعين قلبه، والتي فيها أنه لم يرَهُ تُحمل علىٰ أنه لم يرَهُ بعين رأسه، وبذلك تجتمع الأدلة.

---

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٢/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة الأعراف»، رقم (٣٠٧٤)، وأحمد (٣/ ١٢٥)، **قال الترمذي**: «هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة»، **وقال الحاكم**: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم». «المستدرك» (٢/ ٣٥١)، **قال ابن القيم**: «وهو كما قال». «مدارج السالكين» (٣/ ١٠٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣١).

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥١٠، ٥١١).

(٥) شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٢٤٨).

والألفاظ الثابتة عن **ابن عباس** هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: «رأىٰ محمد ربَّهُ»، وتارة يقول: «رآه محمد»، ولم يثبت عن **ابن عباس** لفظ صريح بأنه رآه بعينه، وكذلك **الإمام أحمد** تارة يُطلق الرؤية، وتارة يقول: «رآه بفؤاده»، ولم يقل أحد أنه سمع **أحمد** يقول: «رآه بعينه»[(١)]، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه نقل عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ روايتان، لكن لم يقل أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكىٰ عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة: «رآه»، ومرة قال: «رآه بفؤاده» فحُكِيت عنه روايتان، وحُكِيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك[(٢)].

فالصواب أن النبي ﷺ لم يرَ ربه بعين رأسه، والأدلة في هذا واضحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي عليه **جمهور السلف** أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عُرِّفَ ذلك كما يُعرَّف من لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصرَّ علىٰ الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر»[(٣)].

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٠٩).
(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٧).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٤٨٦).

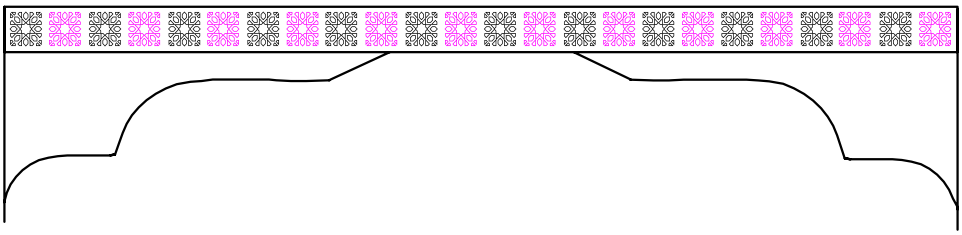

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

«وَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ مِثْلَ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَمِثْلَ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا نَزِيدُ فِيهِ وَلَا نُفَسِّرُهُ.

نَقِفُ عَلَىٰ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَنَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وَمَنْ زَعَمَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ مُعَطِّلٌ جَهْمِيٌّ».

الشَّرْح

○ قوله: «وَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ» أي: نُثْبِت الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء وردت في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية.

نُثْبِت المعنىٰ وننفي الكيفية، وهذه هي طريقة **السلف الصالح، فهم** يتجنبون في باب الإثبات التمثيلَ والتكييفَ، وفي باب النفي التحريفَ والتعطيلَ، ويُمِرُّون النصوص ـ أي: يؤمنون بها ويثبتون معانيها ـ كما جاءت.

وأما الأسماء فهي مشتملة علىٰ معاني، وليست جامدة بل مشتقة، كلُّ اسم له سبحانه مشتمل علىٰ صفة، اسم «الله» مشتمل علىٰ صفة الألوهية، واسم «الرحمن» مشتمل علىٰ صفة الرحمة، واسم «العليم» مشتمل علىٰ صفة العلم، واسم «القدير» مشتمل علىٰ صفة القدرة، وهكذا، بخلاف الصفات كصفة الغضب وصفة الرضا فلا تُشتقُّ أسماء

منها؛ فالأسماء والصفات توقيفية، فلا يُقال: إن الله اتصف بالرضا فنقول: «من أسمائه الراضي»، ولا يُقال: «إن من أسمائه الغاضب»، لكن الأسماء مشتملة علىٰ الصفات.

فالقاعدة عند أهل العلم: أن الأسماء والصفات توقيفية ـ ومعنىٰ توقيفية: أنه يُوقف بها عند النصوص ـ، فما ثبت في نصوص الكتاب والسنة لله تعالىٰ من أسماء وصفات نثبته، وما نُفِيَ عنه في نصوص الكتاب والسنة ننفيه، وما لم يرِدْ نفيه ولا إثباته نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه.

وطريقة **الصحابة والتابعين ومن بعدهم أهل السنة والجماعة** أنهم يثبتون الأسماء والصفات لله ﷻ إثباتًا بلا تمثيل فلا يقولون: «إن صفة الله مثل صفة المخلوق»، ولا تكييف فلا يقولون: «كيفية صفة الله كذا وكذا»، وينفون عنه النقائص والعيوب نفيًّا بلا تحريف لألفاظها ولا معانيها ولا تعطيل للصفات[(١)].

ولا يُلحدون في أسماء الله وآياته؛ فإن الله تعالىٰ ذمَّ الذين يُلحدون في آياته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والإلحاد في أسماء الله: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحقِّ الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، فمنه: اللَّحد وهو الشِّقُّ في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه: الملحد في الدين المائل عن الحقِّ إلىٰ الباطل[(٢)].

---

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٢/ ١١١)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٩٥).
(٢) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٩).

وعن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلىٰ **مالك بن أنس** فقال: «يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟»، قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء ـ يعني: العرق ـ، قال: وأطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه، قال: فسُرِّيَ عن مالك، **فقال**: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالًّا»، وأُمِرَ به فأُخْرِجَ[(١)].

وقول **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ «والاستواء منه غير مجهول» يعني: معلوم في اللغة العربية؛ فله أربع معاني: استقر، وصعد، وعلا، وارتفع، وعليها تدور تفاسير **السلف** ولا تخرج عنها كما قال **العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حُصِّلت للفارس الطَّعَّان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صَعِدَ الذي هو أربع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره ... أدرىٰ من الجهمي بالقرآن[(٢)]

وهذا الجواب من **مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها[(٣)]، فهذا يُقال في جميع الصفات ليس خاصًّا بالاستواء.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في العُلُوِّ، وله صفة العُلُوِّ، وهو العلي العظيم، فالعُلُوُّ معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العليم الحكيم، فنُثْبِت العلم لله، والعلم معلوم، فهو في اللغة

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٦٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١١٦)، و«الأسماء والصفات» (٢/ ٤١٠)، **قال الذهبي**: «هذا ثابت عن مالك». «العلو للعلي الغفار» (ص ٤٠٧)
(٢) «الكافية الشافية» (ص ٨٧).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤).

العربية ضد الجهل، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

والناس في الأسماء والصفات أقسام:

أهل الحقِّ من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أثبتوا الأسماء والصفات لله كما يليق بجلاله وعظمته، فأثبتوا معاني الصفات، فقالوا عن صفة العلم: العلم معلوم ضد الجهل، وعن القدرة ضد العجز، وعن الاستواء هو الاستقرار والصعود والعلو والارتفاع، وعن العُلُوِّ ضد السفل.

وقالوا عن الكيف: مجهول، فكيفية قدرة الله وسمعه واستوائه مجهولة لا يعلمها إلَّا الله، فلا يعلم الكيفية إلَّا هو ﷻ.

والمعتزلة الذين نفوا الصفات وأثبتوا الأسماء مثل: السميع والبصير والعليم، **ويقولون**: ليس لها معاني، فهو سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قدير بلا قدرة، فيقال لهم: وما فائدة الأسماء بلا معاني؟!.

والمُعطِّلة ـ الذين عَطَّلوا أسماء وصفاته ـ ثلاث طوائف:

الأولىٰ: مُعطِّلة تعطيلًا كليًّا وهم **الجهمية**، نفوا أسماء الله وصفاته فلم يثبتوا لله شيئًا، **قالوا**: ليس بالسميع، ولا بالبصير، ولا بالقدير، **وقالوا**: إن هذه الأسماء والصفات التي وردت في النصوص ليست أسماء لله وإنما أسماء لمخلوقاته، لكنها أُضِيفت إلىٰ الله للتشبيه والتكريم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والتحقيق أن التجهم المحضَّ ـ وهو نفي الأسماء والصفات كما يُحكىٰ عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم من نفي أسماء الله الحسنىٰ ـ كفر بَيِّنٌ مخالف لما عُلِمَ

بالاضطرار من دين الرسول»[١].

الثانية: وهم أشدُّ منهم تعطيلًا **الغُلاة النقيضين**، يقولون: «ليس بسميع ولا ليس بسميع، لا عليم ولا ليس بعليم، لا قدير ولا ليس بقدير» ينفون الإثبات وينفون النفي، وهؤلاء هم **الغُلاة الملاحدة**.

الثالثة: مُعطِّلة تعطيلًا جزئيًا وهم **الأشاعرة**، فأثبتوا الأسماء وسبع صفات فقط، أثبتوا صفة الحياة والكلام والبصر والسمع والعلم والقدرة والإرادة، ونفوا بقية الصفات.

ويقابل هؤلاء المشبِّهة الذين شَبَّهوا الله بخلقه ومَثَّلُوا صفاته بصفات المخلوقين، فيقول أحدهم: «لله يد كيدي، واستواء كاستوائي، وعلم كعلمي، وقدرة كقدرتي»، وهؤلاء المشبِّهة أكثرهم **من غلاة الشيعة البيانية** ـ اتباع بيان بن سمعان ـ[٢] والسبابية[٣].

والمُعطِّلة والمشبِّهة طائفتان كافرتان، ولهذا قيل: «**الممثِّل** يعبد صنمًا، **والمعطِّل** يعبد عدمًا»[٤]، وقد قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهو ردٌّ علىٰ **الممثِّلة** ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١] وهو ردٌّ علىٰ **المعطِّلة**[٥].

والذي يُشبِّه الله بخلقه لم يعبد الله في الحقيقة، وإنما يعبد وثنًا صوَّرَهُ له خياله ونحته له فكره، فهو من عُبَّاد الأوثان لا من عُبَّاد الرحمن، وهو مشابه للنصارىٰ الذين عبدوا عيسىٰ عليه السلام، ولهذا يقول

---

(١) «النبوات» (ص ١٤٣).

(٢) الذي زعم أن معبوده انسان من ثور علىٰ صورة الانسان في أعضائه، وأنه يفنىٰ كله إلا وجهه. «الفرق بين الفرق» لابن طاهر البغدادي (ص ٢١٤)

(٣) الذين سمُّوا عليًّا إلهًا، وشبَّهُوه بذات الإله، ولمَّا أحرق قومًا منهم قالوا له: «الآن علمنا أنك إله؛ لأن النار لا يُعذِّب بها إلا الله». «الفرق بين الفرق» (ص ٢١٤).

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٦/٣٤٨).

(٥) «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٤/٤٠٦).

الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكافية الشافية»[(١)]:

لسنا نُشبِّه وصفه بصفاتنا ... إن المشبِّه عابد الأوثان
كلا ولا نُخْلِيهِ من أوصافه ... إن المعطِّل عابد البهتان
من مثَّل الله العظيم بخلقه ... فهو النَّسيب لمشرك نصراني

وأول من تكلَّم في التعطيل **الجعد بن درهم** في أوائل المئة الثانية فضحَّىٰ به **خالد بن عبد الله القسري** أمير العراق والمشرق بواسط، حيث خطب الناس يوم الأضحىٰ فقال: «أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مُضَحٍّ **بالجعد بن درهم**؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلِّم موسىٰ تكليمًا»، ثم نزل فذبحه[(٢)].

وقد أثنىٰ **العلماء** علىٰ **خالد بن عبد الله القسري** حينما قتل **الجعد** وكان هذا بفتوىٰ من علماء زمانه، **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولأجل ذا ضحَّىٰ بجعدٍ خالدُ القـ ... ـسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلَّا ولا موسىٰ الكليم الدَّاني
شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان[(٣)]

ولا شكَّ أن أجر هذه الأضحية يفوق أجر الأضحية من بهيمة الأنعام، وأن قتل هذا الرجل المعطِّل قَطْعٌ لدابر الشرِّ والفساد والفتنة، ولكن للأسف لم يمت هذا الرجل وإلَّا وظهر شخص يُقال له **الجهم بن صفوان** قد أخذ هذا المذهب عنه فأظهره وناظر عليه، وإليه أُضِيف قول **الجهمية**، فقتله **سَلْم بن أحوز** أمير خراسان بها، ثم انتقل نفي الصفات إلىٰ **المعتزلة** اتباع **عمرو بن عبيد**[(٤)].

---

(١) «الكافية الشافية» (ص ٢٠٢).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٦، ٦٧).
(٣) «الكافية الشافية» (ص ٧، ٨).
(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٦، ٦٧).

وقد قيل: إن **الجعد** أخذ مقالته عن **أبان بن سمعان**، وأخذها **أبان** عن **طالوت** بن أخت **لبيد بن الأعصم**، وأخذها **طالوت** من **لبيد بن الأعصم اليهودي** الساحر الذىٰ سحر النبي ﷺ[(١)]، هذه سلسلة الشرِّ والفساد، فتكون عقيدتهم في الصفات تتصل باليهود والسحرة والمنجمين.

والجهمية هم أتباع **الجهم بن صفوان الراسبي**، وقد اشتهر بعقائد أربع خبيثة:

العقيدة الأولىٰ: عقيدة نفي الصفات، وورثها عنه **المعتزلة**.

العقيدة الثانية: عقيدة الجبر، **قال**: إن العبد مجبور، وليس له فعل، والفاعل هو الله، وأفعاله كلها اضطرارية، وورثها عنه **الجبرية**.

العقيدة الثالثة: عقيدة الإرجاء، وهو القول بأن الأعمال مرجئة ومؤخَّرَة، والإيمان مجرد المعرفة بالقلب.

العقيدة الرابعة: القول بفناء الجنة والنار[(٢)].

○ قوله: «**مِثْلَ** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المَائدة: ٦٤]»

يخبر الله تعالىٰ عن اليهود ـ عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة ـ بأنهم وصفوه ـ تعالىٰ عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا ـ بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبَّروا عن البخل بأن قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وقد ردَّ الله ﷻ عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المَائدة: ٦٤][(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٠)، وحديث سحره ﷺ في «صحيح البخاري»، كتاب بدء الخلق، باب «صفة إبليس وجنوده»، رقم (٣٢٦٨)، ومسلم، كتاب السلام، رقم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٦- ٨٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٧٦).

وقد تقدَّم أن أهل السنة يثبتون الأسماء والصفات لله ﷻ التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ سواء وردت في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية بخلاف أهل الضلال من أهل البدع واليهود والنصارىٰ.

ومما يثبته أهل السنة صفة اليد لله تعالىٰ وقد ذكر **المؤلف** رحمه الله مثالًا، فقال: «**مِثْلَ**: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المَائدة: ٦٤]» **وفيها**: إثبات اليد لله ﷻ.

○ قوله: «**وَمِثْلَ** ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]» فيها: إثبات اليمين لله ﷻ.

○ قوله: «**وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ**» قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] **فيها**: إثبات اليدين لله ﷻ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧]، **فيها**: إثبات للوجه.

○ قوله: «**وَالْحَدِيثِ**» كما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: «يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ»، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: «أَنْتَ مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!»**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ**».

وفي قوله «**وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**» إثبات صفة اليد.

وفي «الصحيحين»[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب «تحاج آدم وموسىٰ عند الله»، رقم (٦٦١٤)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٢) ـ واللفظ له ـ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب «الدعاء والصلاة من آخر الليل»، رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»».

وفيه: إثبات صفة النـزول لله ﷻ.

وفي «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ».

وفيه: إثبات صفة الضحك لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته.

نُثْبِت الصفات لله تعالىٰ كما يليق بجلاله وعظمته كما وردت في الكتاب والسنة.

○ قوله: «لَا نَزِيدُ فِيهِ وَلَا نُفَسِّرُهُ» يعني: لا نُفسِّره تفسير **الجهمية** كما **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «وقوله «من غير تفسير» أراد به تفسير **الجهمية المعطِّلة** الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات»[(٢)].

○ قوله: «نَقِفُ عَلَىٰ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ» يعني: لا نتجاوز القرآن والسنة، فما جاء من الأسماء والصفات في الكتاب والسنة نُثْبِته ولا نزيد ولا نتجاوزهما، وهذا هو مذهب **الأئمة**، ولهذا يقول **الإمام الترمذي** رحمه الله في «سننه»[(٣)] عقب حديث أبي هريرة رضي الله عنه في باب «ما جاء خلود أهل الجنة وأهل النار»: «وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يُذْكَر فيه أمر الرؤية أن الناس يرون ربَّهُم، وذِكر القَدِم وما

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب «الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل»، رقم (٢٨٢٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٩٠).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٥٠).
(٣) «سنن الترمذي» (٤/ ٦٩٢).

أشبه هذه الأشياء، والمذهب في هذا عند **أهل العلم من الأئمة**، مثل: **سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع، وغيرهم** أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: «تُروىٰ هذه الأحاديث، ونؤمن بها، ولا يُقال «كيف؟»»، وهذا الذي اختاره **أهل الحديث** أن تُروىٰ هذه الأشياء كما جاءت، ويُؤْمَنُ بها، ولا تُفسَّر ولا تُتوهَّم، ولا يُقال «كيف؟»»، وهذا أمر **أهل العلم** الذي اختاروه وذهبوا إليه».

وطريقة **السلف الصالح** الاقتصار علىٰ ما جاء في الحديث، روىٰ الأوزاعي عن **الزهري ومكحول** أنهما قالا: «امضوا الأحاديث علىٰ ما جاءت»[(١)] وقال الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد وغيرهم من الأئمة: «أَمِرّوا الأحاديث كما جاءت بلا كيف»[(٢)]، ومعنىٰ «أَمِرّوا الأحاديث» يعني: في الصفات كما هي عليه، نؤمن بمعناها وما دلت عليه مع عدم التعرض لها بالتحريف ولا بتأويل ولا بتكييف.

ويقول **الإمام إسماعيل الصابوني** رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته»[(٣)]: «**وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله** لم يختلفوا في أن الله علىٰ عرشه، وعرشه فوق سماواته، يثبتون من ذلك ما أثبته الله تعالىٰ، ويؤمنون به، ويُصدِّقُون الرَّبَّ جلَّ جلاله في خبره، ويطلقون ما أطلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من استوائه علىٰ العرش، ويُمِرُّونه علىٰ ظاهره، ويَكِلُون علمه إلىٰ الله»، فهذه طريقة **السلف الصالح** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ولهذا روىٰ **الإمام الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «السير»[(٤)] عن **الحميدي** قال: «والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردون حديث رسول الله ﷺ أحب

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٨٧).
(٢) «الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي» لابن عبد الهادي (ص ٣١٠).
(٣) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٤٤).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦١٩).

إلي من أن أغزو عِدَّتَهُم من الأتراك»، وهذا قد يُفهم منه تكفير **المعطِّلة**، ويكون غزوهم بالردِّ عليهم وتبيين باطلهم وكشف شُبَههم .

○ قوله: «**وَنَقُولُ**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]» يعني: تقرأ **أيُّهَا السُّنِّيُّ** هذه الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ فتُثْبِتَ الاستواء لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، فتُمِرُّها كما جاءت.

○ قوله: «**وَمَنْ زَعَمَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ مُعَطِّلٌ جَهْمِيٌّ**» فمن زعم أن الله غير مُسْتَوٍ علىٰ عرشه فهو **مُعطِّل جَهْمِيٌّ**.

«**مُعطِّل**» من التعطيل، والتعطيل هو الخلو والفراغ، من قولهم «الدار مُعطَّلة» إذا خلت عن سُاكَّنِها، و«الإبل مُعطَّلة» إذا لم يكن لها راعي، وقولهم للمرأة التي ليس في يدها حُلي «مُعطَّلة»[(١)]، فيُقال لمن أنكر وجود الله وجعل هذه المخلوقات ليس لها خالق «مُعطِّل»، ويُقال لمن أنكر الأسماء والصفات «مُعطِّل».

و«**الجهمي**» نسبة إلىٰ **الجهم بن صفوان**، وتقدَّم.

(١) انظر: «لسان العرب» (١١/ ٤٥٣، ٤٥٤).

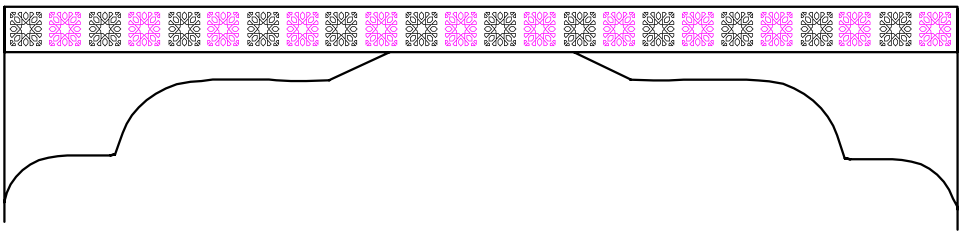

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَنْ لَا نَقُولَ كَمَا قَالَتِ الْخَوَارِجُ «مَنْ أَصَابَ كَبِيرَةً فَقَدْ كَفَرَ»، وَلَا تُكَفِّرُ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ، إِنَّمَا الْكُفْرُ فِي تَرْكِ الْخَمْسِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»».

الشَّرْح

○ قوله: «وَأَنْ لَا نَقُولَ»: مَنْ **أُصُول وعقيدة أهل السنة والجماعة** أن لا نقول «كَمَا قَالَتِ الْخَوَارِجُ «مَنْ أَصَابَ كَبِيرَةً فَقَدْ كَفَرَ»».

والخوارج هم الذين خرجوا علىٰ **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في زمانه، وكانوا مع الصحابة فحملوا القرآن علىٰ غير تأويله وحملوا النصوص التي وردت في الكفار وجعلوها علىٰ المسلمين فكَفَّرُوهم، **وقالوا**: مَنْ ارتكب كبيرة فهو كافر، وتجمعوا في قرية في العراق يُقال لها «حروراء»، ولهذا يُقال لهم «الحرورية»[(١)].

ومن عقيدتهم: تكفير المسلمين بالمعاصي، **يقولون**: من فعل الكبيرة كفر، فإذا زنىٰ كفر، وإذا شرب الخمر كفر، ومَنْ تعامل بالربا كفر، ومَنْ أكل الرِّشوة كفر، ومَنْ عقَّ والديه كفر، ومَنْ قطع رَحِمَهُ كفر، وهكذا، فيستحلون دمه وماله[(٢)].

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٧/ ٣٥٧).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٤٧٩)، (١٢/ ٤٨٠).

ويوافقهم **المعتزلة** أتباع **واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد** في الحكم علىٰ مرتكب الكبيرة في الدنيا، **فيقولون** : «خرج من الإيمان، لكنه لم يدخل في الكفر»، ولا يستحلون دمه وماله، ويوافقونهم في تخليده في النار في الآخرة، **فالخوارج والمعتزلة** كلٌّ منهما يرىٰ أن مرتكب الكبيرة خالد في النار[(١)]، ويختلف **الخوارج** بأنهم يقولون : «خرج فاعل الكبيرة من الإيمان ودخل في الكفر» فاستحلوا دمه وماله، **والمعتزلة** يقولون : «خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر»، **فقالوا** : هو في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، يُسمَّىٰ فاسقًا، وهذه المنزلة بين المنزلتين أحدثها **المعتزلة** فجعلوها من أصول الدين[(٢)].

ولهذا قاتل **أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** ﷺ والصحابة الخوارج وناظروهم ولم يرجعوا.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله : «بُويعَ **لعلي** ﷺ **بالخلافة يوم قتل عثمان** ﷺ، **واجتمع علىٰ بيعته المهاجرون والأنصار**، وتخلَّف عن بيعته منهم نفر فلم يهجهم ولم يكرههم، وسُئِلَ عنهم **فقال** : «أولئك قوم قعدوا عن الحقِّ ولم يقوموا مع الباطل»، وفىٰ رواية أخرىٰ : «أولئك قوم خذلوا الحقَّ ولم ينصروا الباطل»، وتخلف أيضًا عن بيعته **معاوية** ومن معه في جماعة أهل الشام فكان منهم في صِفِّينَ بعد الجمل ما كان ـ تغمد الله جميعهم بالغفران ـ، ثم خرجت عليه **الخوارج** وكَفَّرُوه وكل من كان معه إذ رضىٰ بالتحكيم بينه وبين أهل الشام، وقالوا له: «حكَّمتَ الرجال في دين الله، والله تعالىٰ يقول ﷻ؟!»، ثم اجتمعوا وشقُّوا عصىٰ المسلمين، ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء، وقطعوا السُّبل، فخرج إليهم بمن معه ورام مراجعتهم فأبوا إلَّا

(١) انظر: «النبوات» (ص ١٤٤)، و«منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٨٤).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٨٦، ٣٨٧).

القتال فقاتلهم بالنهروان فقتلهم، واستأصل جمهورهم ولم ينجُ إلَّا اليسير منهم»[(١)].

وأصل **الخوارج** رجل يُقال له «**ذُو الْخُوَيْصِرَةِ**»، ففي «الصحيحين»[(٢)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ **ذُو الْخُوَيْصِرَةِ** وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ»، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ؛ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!، قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»، فَقَالَ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ»، فَقَالَ: «**دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**».

وقد أخبر النبي ﷺ عن صفتهم، في «الصحيحين»[(٣)] عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن **الأمة مُتَّفِقُونَ** علىٰ ذم **الخوارج** وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم علىٰ قولين مشهورين في مذهب **مالك وأحمد**، وفىٰ مذهب **الشافعي** أيضًا نزاع في كفرهم.

---

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١١٢١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «علامات النبوة في الإسلام»، رقم (٣٦١٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «علامات النبوة في الإسلام»، رقم (٣٦١١)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٦٦).

ولهذا كان فيهم وجهان في مذهب **أحمد وغيره** علىٰ الطريقة الأولىٰ **أحدهما** : أنهم بغاة، **والثاني** : أنهم كفار كالمرتدين، يجوز قتلهم ابتداء، وقتل أسيرهم، وإتباع مُدْبِرِهِمْ، ومن قُدِرَ عليه منهم اُسْتُتِيبَ كالمرتد، فإن تاب وإلَّا قُتِلَ.

وقتال **عليٍّ للخوارج** ليس مثل القتال يوم الْجَمَلَ وَصِفِّينَ، فكلام **علي وغيره** في **الخوارج** يقتضي أنهم ليسوا كفارًا كالمرتدين عن أصل الإسلام، وهذا هو المنصوص عن الأئمة **كأحمد وغيره**، وليسوا مع ذلك حكمهم كحكم أهل الْجَمَلِ وصِفِّينَ، بل هم نوع ثالث، وهذا **أصح الأقوال** الثلاثة فيهم»[(١)] .

واختار **شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ أنهم كفار[(٢)] والجمهور علىٰ أنهم مبتدعة؛ لأنهم متأوِّلُون، وهو اختيار **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ، فالصحابة عاملوهم معاملة المبتدعة، ولكن إذا استطاعوا الخروج علىٰ الإمام يُقاتَلُون؛ لأنهم يُريدون أن يُفرِّقُوا عصىٰ المسلمين.

○ قوله: «**وَلَا تَكْفِيرٌ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ**» هذه عقيدة **أهل السنة والجماعة** أنهم لا يُكفِّرُون بالمعاصي **كالخوارج**، فلا نُكفِّر إلَّا من فعل الكفر وقامت عليه الحجة التي ليس فيها شُبْهة.

أما الكبائر ما دون الشِّرك فإنهم لا يحكمون علىٰ مرتكبيها بالكفر، بل يخرج من الإيمان إلىٰ الإسلام فيُسمَّىٰ «مسلمًا» ولا يُسمَّىٰ «مؤمنًا» بإطلاق بل بقيد فيُقال «مؤمن ضعيف الإيمان» أو «مؤمن ناقص الإيمان» أو «مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته»، فلا يُعطىٰ الاسم المطلق، ولا يُسلب مطلق الاسم[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥١٨) باختصار يسير.

(٢) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (١٣/ ١٦١).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٥٢).

وفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان :

الإيمان المطلق هو الكامل الذي يستوجب أداء الواجبات وترك المحرَّمات كما قال الله تعالىٰ عن المؤمنين في سورة «الأنفال»: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [٢-٤] هذا هو الإيمان حقًّا، أما مرتكب الكبيرة فليس بمؤمن حقًّا، قال تعالىٰ في سورة «الحجرات»: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [١٥]، فهؤلاء هم الصَّادقون في إيمانهم، أما الكافر فليس بصادق في إيمانه؛ لضعف إيمانه.

ومطلق الإيمان هو أصل الإيمان.

فالفاسق والعاصي ومرتكب الكبيرة لا يُعطىٰ الإيمان المطلق، فلا يُقال له «مؤمن» بإطلاق؛ لأنه عاصٍ، ولا يسلب عنه مطلق الإيمان، فلا يُقال : «ليس بمؤمن»، لا بُدَّ من التقييد في النفي والإثبات، تقول في الإثبات : «مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته» أو «مؤمن عاصٍ» أو «ناقص الإيمان» أو «مؤمن ضعيف الإيمان»، وتقول في النفي : «ليس بصادق الإيمان» أو «ليس بمؤمن حقًّا»[1]، بخلاف **الخوارج والمعتزلة** الذين يسلبون عنه الإيمان، وخلافًا **للمرجئة** الذي يُعطونه الإيمان الكامل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «وهم مع ذلك لا يُكفِّرُون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما تفعله **الخوارج**، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص ٤٠).

﴿ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجرَات: ٩-١٠].

ولا يسلِبُون الفاسق الْمِلِّيَّ اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلِّدونه في النار كما تقوله **المعتزلة**، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفَال: ٢]، وقول النبي ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)] **ويقولون**: «هو مؤمن ناقص الإيمان»، أو «مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته»، فلا يُعطىٰ الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم»[(٢)].

وفي «الصحيحين»[(٣)] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه مِنْ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا**

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب «النهبىٰ بغير إذن صاحبه»، رقم (٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «العقيدة الواسطية» (ص ٣٩، ٤٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب «وفود الأنصار إلىٰ النبي وبيعة العقبة»، رقم (٣٨٩٢)، ومسلم، كتاب الحدود، رقم (١٧٠٩).

فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ»، قَالَ: «فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ»، ولم يقل ﷺ لهم: «مَنْ فعل شيئًا من ذلك كفر».

ولهذا يقول **الإمام الطحاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته»[(١)]: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلَّدون إذا ماتوا وهم موحِّدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر ﷻ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨]، وإن شاء عذَّبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشَّافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلىٰ جنته».

ولهذا **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَلَا تَكْفِيرٌ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ**» أيُّ ذنب لا نُكفِّر به، فالذنوب تُضْعِف الإيمان وتُنْقِصه ولا تقضي عليه، ولا يكفر العبد بها.

وأما مَنْ فعل ناقضًا من نواقض الإسلام أو شركًا في العبادة فهو الذي يكفر، ومَنْ استحل مُحَرَّمًا كالزنا أو شُرْبَ الخمر يكفر؛ لأنه استحلَّ أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة تحريمه.

وكما أن قول **الخوارج** بتكفير صاحب الكبيرة يقابلهم قول **المرجئة المحضة، يقولون**: «لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة»، أما **أهل السنة والجماعة** فوسط[(٢)].

○ قوله: «**إِنَّمَا الْكُفْرُ فِي تَرْكِ الْخَمْسِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»**»

(١) «العقيدة الطحاوية» (ص ٤٥).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٧٤).

والحديث أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(١)] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

هذه الْخَمْسُ هي دعائم الإسلام وأركانه، وهي العُمُد التي لا يقوم ولا يستقيم إلَّا بها، مَنْ أقامها وحافظ واستقام عليها لا بُدَّ أن يقوم بشرائع الإسلام، ومَنْ ضيَّعها فإنه ينافي الإيمان.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «**والمراد من هذا الحديث**: أن الإسلام مبني علىٰ هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيانه، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان، وهو قائم لا ينتقض بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس؛ فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين»[(٢)].

والخَمْسُ هي الشهادتان شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وهذا أصل الدين والمِلَّةِ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.

وهي أركان الإسلام كما في حديث جبرائيل في «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «دعاؤكم إيمانكم»، رقم (٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨).

عَنِ الْإِسْلَامِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، ...، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إِنَّمَا الْكُفْرُ فِي تَرْكِ الْخَمْسِ**» أي: مَنْ ترك هذه الخمس يكفر، مَنْ لم يشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وترك الصلاة، وترك الزكاة، وترك الصوم، وترك الحج هذا هو الذي يكفر، وهذه الخمس إذا زالت كلها سقط بناء الإسلام ولم يقم بعد زواله.

وكذلك إن زال منها الركن الأعظم وهو الشهادتان؛ لأن أصل الدين وأساس المِلَّةِ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن تشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ، تشهد لله تعالىٰ بالوحدانية وتشهد لنبيه ﷺ بالرِّسالة، فإذا ارتكب العبد كفرًا ناقضًا كسبِّ الله أو رسوله ﷺ أو دين الإسلام، أو استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله ﷺ أو بدينه، أو سجد لصنم، أو أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة فهذه رِدَّة عن الإسلام.

أمَّا إذا جحد وجوب واحد منها كمن جحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب الصوم أو وجوب الحج فهذا كافر **بالإجماع**؛ لأن هذه الأركان الأربعة معلومة من الدين بالضرورة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئًا من هذه الأركان الأربعة ففي التكفير أقوال **للعلماء** هي روايات عن **أحمد**:

أحدها: أنه يكفر بترك واحد من الأربعة حتىٰ الحج، وإن كان في جواز تأخيره نزاع بين **العلماء**، فمتىٰ عزم علىٰ تركه بالكلية كفر،

وهذا قول **طائفة من السلف**، وهي إحدىٰ الروايات عن **أحمد**، اختارها **أبو بكر**.

الثاني: أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الاقرار بالوجوب، وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب **أبي حنيفة ومالك والشافعي**، وهو إحدىٰ الروايات عن **أحمد**، اختارها **ابن بطة وغيره**.

الثالث: لا يكفر إلَّا بترك الصلاة، وهىٰ الرواية الثالثة عن **أحمد**، وقول **كثير من السلف** وطائفة من أصحاب **مالك والشافعي** وطائفة من أصحاب **أحمد**.

الرابع: يكفر بتركها وترك الزكاة فقط.

الخامس: بتركها وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج»[(١)].

والصواب فيمن ترك الصلاة تكاسلًا وتهاونًا ولم يجحد وجوبها أنه يكفر[(٢)]؛ لأدلة خاصَّة، **منها**:

١- ما في «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»، ومعنىٰ بينه وبين الشرك ترك الصلاة: أن الذىٰ يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا تركها لم يبقَ بينه وبين الشرك حائل، بل دخل فيه[(٤)].

٢- ما في «صحيح البخاري»[(٥)] عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ قَالَ: كُنَّا مَعَ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٦١١).
(٢) انظر: «المجموع» للنووي (٣/ ٢٢٩، ٢٣٠).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨٢).
(٤) شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (٢/ ٧١).
(٥) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب «من ترك العصر»، رقم (٥٥٣).

بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ[١]، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلَاةِ الْعَصْرِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»، والذي يُحْبَط عمله الكافر.

٣- ما في «الصحيحين»[٢] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ: «**فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، وفي «صحيح مسلم»[٣] عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: «أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟»، قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**» فإذا جمعتَ بين الحديثين دل علىٰ أن ترك الصلاة كفر بواح، وهذا هو **الصواب**.

٤- عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحَصِيبِ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[٤]، **فجعل الصلاة حدًّا فاصلًا**.

---

(١) **قيل**: خص يوم الغيم بذلك لأنه مظنة التأخير إما لمتنطع يحتاط لدخول الوقت فيبالغ في التأخير حتىٰ يخرج الوقت، أو لمتشاغل بأمر آخر فيظن بقاء الوقت فيسترسل في شغله إلىٰ أن يخرج الوقت. «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٢)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب «قول النبي ﷺ «**سترون بعدي أمورًا تنكرونها**»»، رقم (٧٠٥٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٤).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب «ما جاء في ترك الصلاة»، رقم (٢٦٢١)، والنسائي، كتاب الصلاة، باب «الحكم في تارك الصلاة»، (١/ ٢٣١)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب «ما جاء فيمن ترك الصلاة»، رقم (١٠٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، **قال الترمذي**: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، **وقال الحاكم**: «هذا حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة بوجه من الوجوه، ولهذا الحديث شاهد صحيح علىٰ شرطهما جميعًا». «المستدرك» (١/ ٤٨).

٥- الإجماع، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ**»(١).

ومَنْ ترك صلاة واحدة متعمدًا ولم يكن له شُبْهة ولا تأويل حتىٰ خرج الوقت فإنه يكفر؛ لحديث بريدة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»(٢)، **والذي يُحْبَط عمله الكافر، وهذا هو الصواب.**

وقد سُئِلَ **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله عن تارك الصلاة من غير عذر هل هو مسلم في تلك الحال ﷺ؟، **فأجاب** رحمه الله: «أما تارك الصلاة فهذا إن لم يكن معتقدًا لوجوبها فهو كافر بالنصِّ والإجماع، لكن إذا أسلم ولم يعلم أن الله أوجب عليه الصلاة أو وجوب بعض أركانها مثل أن يصلي بلا وضوء فلا يعلم أن الله أوجب عليه الوضوء أو يصلي مع الجنابة فلا يعلم أن الله أوجب عليه غسل الجنابة فهذا ليس بكافر إذا لم يعلم»(٣).

أما **الزكاة** فإذا تركها المسلم تهاونًا وكسلًا فلا يكفر؛ في «صحيح مسلم»(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ**» فدل علىٰ أنه

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب «ما جاء في ترك الصلاة»، رقم (٢٦٢٢).
قال النووي: «رواه الترمذي في كتاب الإيمان بإسناد صحيح». «المجموع» (٣/ ١٨).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ٤٠).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، رقم (٩٨٧).

ليس بكافر؛ لأنه لو كان كافرًا لم يكن له سبيل إلىٰ الجنة، **فالصواب** أنه لا يكفر إذا تركها تهاونًا وكسلًا.

وكذلك من ترك **الصوم والحج** تهاونًا وكسلًا فلا يكفر، ولكن يكون مرتكبًا لكبيرة، ضعيفَ الإيمان فاسقًا، ولا يخرج من المِلَّةِ.

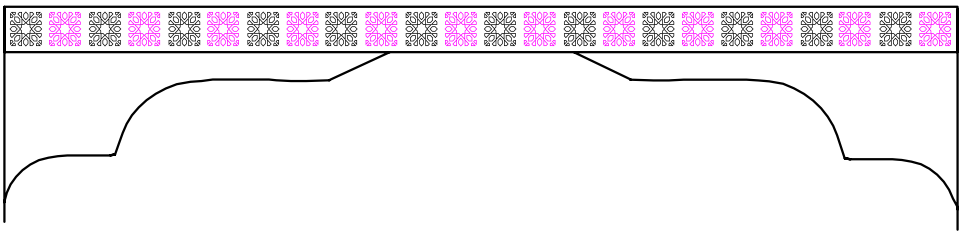

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

«فَأَمَّا ثَلَاثٌ مِنْهَا فَلَا يُنَاظَرُ تَارِكُهَا: مَنْ لَمْ يَتَشَهَّدْ، وَلَمْ يُصَلِّ، وَلَمْ يَصُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤَخَّرُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا عَنْ وَقْتِهِ، وَلَا يُجْزِئُ مَنْ قَضَاهُ بَعْدَ تَفْرِيطِهِ فِيهِ عَامِدًا عَنْ وَقْتِهِ.

فَأَمَّا الزَّكَاةُ فَمَتَىٰ مَا أَدَّاهَا أَجْزَأَتْ عَنْهُ، وَكَانَ آثِمًا فِي الْحَبْسِ.

وَأَمَّا الْحَجُّ فَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ وَجَبَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي عَامِّهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ، مَتَىٰ أَدَّاهُ كَانَ مُؤَدِّيًا وَلَمْ يَكُنْ آثِمًا فِي تَأْخِيرِهِ إِذَا أَدَّاهُ، كَمَا كَانَ آثِمًا فِي الزَّكَاةِ؛ لِأَنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ لِمُسْلِمِينَ مَسَاكِينَ حَبَسَهُ عَلَيْهِمْ فَكَانَ آثِمًا حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَمَّا الحَجُّ فَكَانَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ إِذَا أَدَّاهُ فَقَدْ أَدَّىٰ، وَإِنْ هُوَ مَاتَ وَهُوَ وَاجِدٌ مُسْتَطِيعٌ وَلَمْ يَحُجَّ سَأَلَ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا أَنْ يَحُجَّ، وَيَجِبُ لِأَهْلِهِ أَنْ يَحُجُّوا عَنْهُ، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا عَنْهُ كَمَا لَوْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقُضِيَ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ».

الشَّرْح

○ قوله: «فَأَمَّا ثَلَاثٌ مِنْهَا» أي: من أركان الإسلام «فَلَا يُنَاظَرُ تَارِكُهَا: مَنْ لَمْ يَتَشَهَّدْ» أي: يتشهد الشهادتين «وَلَمْ يُصَلِّ» الصلاة «وَلَمْ يَصُمْ» شهر رمضان.

هذه الأركان الثلاثة ـ الشهادتان شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان ـ أركان تلزم

المؤمن العاقل، ولا تسقط مطلقًا حتىٰ يلقىٰ الله ﷻ، فتجب علىٰ الفقير والغني والحرِّ والعبد والمقيم والمسافر والرجل والمرأة، بخلاف **الزكاة والحج** فلا يلزمان إلَّا إذا توفرت شروطهما، **فالزكاة** لا تجب إلَّا في مال بلغ النصاب وحال عليه الحول، ولا يجب **الحج** إلَّا مرة في العُمُرِ علىٰ المسلم البالغ العاقل الحرِّ المستطيع.

هذه الثلاث لا يُنَاظَر تاركها؛ «لِأَنَّهُ لَا يُؤَخَّرُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا عَنْ وَقْتِهِ» **فالشهادة** لا تُؤخَّر، فمَنْ لم يشهد لله تعالىٰ بالواحدانية ولنبيه ﷺ بالرِّسالة لم يدخل في الإسلام، وكذلك **الصلاة**، مَنْ لم يُصلِّ فلا إسلام له، وكذلك من لم يصم **رمضان**، فلا يعذر في تأخير الصلاة ولا في تأخير الصوم.

○ قوله: «وَلَا يُجْزِئُ مَنْ قَضَاهُ بَعْدَ تَفْرِيطِهِ فِيهِ عَامِدًا عَنْ وَقْتِهِ» وفي قضاء الصلاة خلاف، **والصواب** كما قال **المؤلف** رحمه الله أن الصلاة لا تُؤخَّر عن وقتها، ومن أخَّرها عامدًا عالمًا ذاكرًا ولم يكن ناسيًا ولا متأولًا فلا تصح صلاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وتارك الصلاة عمدًا لا يشرع له قضاؤها، ولا تصح منه، بل يُكْثِرُ من التطوع، وكذا **الصوم**، وهو قول طائفة من السلف **كأبي عبد الرحمن صاحب الشافعي وداود وأتباعه**، وليس في الأدلة ما يُخالف هذا، بل يوافقه»[(١)].

○ قوله: «فَأَمَّا الزَّكَاةُ فَمَتَىٰ مَا أَدَّاهَا أَجْزَأَتْ عَنْهُ، وَكَانَ آثِمًا فِي الْحَبْسِ» إذا امتنع عن أداء الزكاة مُستحِلًّا لذلك ويرىٰ عدم وجوبها فهذا يكفر، وأما إذا تركها بخلًا وتهاونًا ويعلم أنها واجبة **فالصواب** أنه لا يكفر.

(١) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٤/ ٤٠٤).

وإذا أخَّرها ومنع الفقراء حقَّهم يكون آثمًا، ومتىٰ أدَّاها أجزأته ويأثم علىٰ تأخيرها، ولا يكفر.

○ قوله: «وَأَمَّا الْحَجُّ فَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ» يعني: توفرت شروطه بأن كان مسلمًا بالغًا عاقلًا حُرًّا مستطيعًا «وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ» يعني: توفرت القدرة والاستطاعة بأن يكون قادرًا بماله وبدنه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]، والسبيل هي القدرة.

والقدرة نوعان: قدرة بالبدن وقدرة بالمال.

القدرة بالبدن هي أن يستطيع الثبات علىٰ المركوب، فإذا كان لا يستطيع الثبات علىٰ مركوبه لكونه كبير السِّنِّ أو مريضًا مرضًا لا يُرجىٰ برؤه وعنده مال فينيب من يحج عنه، وفي «الصحيحين»[(١)] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَىٰ الرَّاحِلَةِ، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، فهذا إذا كان قادرًا بماله غير قادر ببدنه.

وإذا كان قادرًا ببدنه يستطيع الثبات علىٰ المركوب وليس لديه مال يحج به زيادة عن نفقته ونفقة أولاده فلا يجب الحج عليه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧].

يقول المؤلف رحمه الله: «وَأَمَّا الْحَجُّ فَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ» يعني: مَنْ توفرت شروطه «وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ» يعني: القدرة بماله وبدنه «وَجَبَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب «الحج عمن لا يستطيع الثبوت علىٰ الراحلة»، رقم (١٨٥٤)، ومسلم، كتاب الحج، رقم (١٣٣٤).

عَلَيْهِ» يعني: وجب عليه أن يحج بنفسه.

○ قوله: «وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي عَامِّهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ، مَتَىٰ أَدَّاهُ كَانَ مُؤَدِّيًا وَلَمْ يَكُنْ آثِمًا فِي تَأْخِيرِهِ إِذَا أَدَّاهُ كَمَا كَانَ آثِمًا فِي الزَّكَاةِ» يعني: لا يجب عليه إلَّا إذا توفرت شروطه بأن يكون مسلمًا بالغًا عاقلًا حُرًّا مستطيعًا بماله وبدنه ففي هذه الحالة ليس له بُدٌّ في أداء الحج، فإذا أدَّاه كان مُؤدِّيًا ولم يكن آثمًا في تأخيره، بخلاف **الزكاة** فإنه يكون آثمًا في تأخيرها؛ «لِأَنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ لِمُسْلِمِينَ مَسَاكِينَ حَبَسَهُ عَلَيْهِمْ فَكَانْ آثِمًا حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيْهِمْ» يعني: حتىٰ يصل إليهم حقُّهم.

واختلفوا هل يجب الحج علىٰ الفور أم علىٰ التراخي؟، **فقال أبو حنيفة ومالك في المشهور عنهما**: هو علىٰ الفور، **وقال الشافعي**: هو علىٰ التراخي، **وعن أحمد** روايتان، **أظهرهما**: أنه علىٰ الفور[(١)].

والصواب أنه يجب علىٰ الفور ولا يجوز تأخيره إذا لم يكن هناك مانع.

○ قوله: «وَأَمَّا الحَجُّ فَكَانَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ إِذَا أَدَّاهُ فَقَدْ أَدَّىٰ» كأنَّ **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ يُفرِّق بين الزكاة والحج، فيقول: إذا توفرت شروط **الحج** فلا بُدَّ من أدائه، ومتىٰ أدَّاه كان مُؤدِّيًا ولم يكن آثمًا في تأخيره إذا أدَّاه؛ لأنه لم يمنع أحدًا من حقِّهِ، بخلاف **الزكاة** فإذا وجبت عليه وأخَّرَها ثم أدَّاها أجزئته وكان آثمًا بالتأخير؛ لأن الزكاة حقٌّ لمسلمين مساكين حبسه عليهم فكان آثمًا حتىٰ يصل إليهم.

○ قوله: «وَإِنْ هُوَ مَاتَ وَهُوَ وَاجِدٌ مُسْتَطِيعٌ وَلَمْ يَحُجَّ سَأَلَ الرَّجْعَةَ

(١) اختلاف الأئمة العلماء» لابن هبيرة (١/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة المنافقين»، رقم (٣٣١٦) من طريق أبي جناب الكلبي، عن الضحاك، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. =

إِلَىٰ الدُّنْيَا أَنْ يَحُجَّ» كما عند الترمذي[١] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ يُبَلِّغُهُ حَجَّ بَيْتِ رَبِّهِ أَوْ تَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الزَّكَاةُ فَلَمْ يَفْعَلْ يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، اتَّقِ اللَّهَ، إِنَّمَا يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ الْكُفَّارُ»، قَالَ: «**سَأَتْلُو عَلَيْكَ بِذَلِكَ قُرْآنًا**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون: ٩-١٠] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ١١]»، قَالَ: «فَمَا يُوجِبُ الزَّكَاةَ؟»، قَالَ: «**إِذَا بَلَغَ الْمَالُ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ فَصَاعِدًا**»، قَالَ: «فَمَا يُوجِبُ الْحَجَّ؟»، قَالَ: «**الزَّادُ وَالْبَعِيرُ**».

○ قوله: «**وَيَجِبُ لِأَهْلِهِ أَنْ يَحُجُّوا عَنْهُ**» من ماله كالديون التي تقضىٰ عن الميت قبل قسمة التركة.

وهناك أمور يُبدأ بها قبل قسمة التركة: يُبدأ بأجرة تغسيله وكفنه وحفر قبره، ثم تقضىٰ عنه الدُّيون سواء كانت لله كالزكاة أو الحجَّ أو للآدميين.

فإذا توفىٰ ووجب عليه الحجُّ ولم يحج يؤخذ من ماله ما يُحج به عنه سواء كان بتفريط منه كما لو وجب عليه وأخَّره أو بغير تفريط كما لو وجب عليه الحج قبله بستة أشهر لكنه مات قبل وقته.

○ قوله: «**وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا عَنْهُ كَمَا لَوْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقُضِيَ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ**» فإذا قُضِيَ دينُهُ بعد موته برئت ذمته، كذلك إذا

= ثم **قال** رحمه الله: «حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن يحيىٰ بن أبي حية، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ بنحوه»، وقال: هكذا روىٰ سفيان بن عيينة وغير واحد هذا الحديث عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس قوله ولم يرفعوه، وهذا أصح من رواية عبد الرزاق.
وأبو جناب اسمه يحيىٰ بن أبي حية، وليس هو بالقوي في الحديث.

حُجَّ عنه برئت ذمته، وكذلك إذا أُخِذَت الزكاة التي وجبت عليه من ماله فأُخْرِجت برئت ذمته.

وبهذا تم شرح الكتاب، وفَّقَ الله الجميع لطاعته، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه.

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

الموضوع	رقم الصفحة
مُقَدِّمَةُ:	٥
التَّعْرِيفُ بِرِسَالَةِ «أُصُولِ السُّنَّةِ» لِلْحُمَيْدِيِّ:	١٣
تَرْجَمَةُ الْإِمَامِ الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:	١٥
الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ:	١٧
الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ:	٢٩
الثَّنَاءُ عَلَىٰ الصَّحَابَةِ رُضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ:	٣٩
الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ:	٥١
قَوْلُ سُفْيَانَ فِي الْإِيمَانِ:	٥٦
رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ:	٥٩
إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ:	٦٩
الْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْخَوَارِجِ:	٨٠
مَتَىٰ تَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَىٰ تَارِكِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ أَوْ بَعْضِهَا؟:	٩٣
فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ:	٩٩